أماني معلّبة

لطفيه القبائلى



قصص قصيرة

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

حسن عبد الله القرشي

أماني معلّقة

لطفية القبائلي

أماني معلّقة

قصص قصيرة

منشورات
المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الطبعة الأولى

1392 و.ر — 1983 م



المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

بقلم يوسف القويري

تقديم

تقدم لنا الأخت الأديبة لطيفة القبائلي في كتابها الأول جملة من اللوحات والمواقف العائلية المستوحات من واقع المجتمع الليبي ومكانة المرأة فيه . هي صورة واقعية تقترب أحيانا في التصنيف من القصة ، وتبعد عنها أحيانا أخرى لتصبح حكاية أو خاطرة أو لوحة ترصد موقفا معينا لا تتعداه .

انها صورة مرسومة أحيانا بدقة ، ومرسومة في أحيان أخرى بطريقة اللمسات السريعة على غرار الإسكتش الذي يعده الفنان كمادة أولية لرسم أوفى وأكمل .

والصفة الواضحة التي تميز هذه المجموعة هي وضوح أسلوبها ، وواقعيتها وصدق تعبيرها عن بعض القضايا التي تشغل المرأة في مجتمعنا الليبي ولا يخطىء القارىء أن يرصد من خلال الخيط العام الذي يشدها صورة لمشاعر المرأة الليبية إزاء بعض المشاكل الإجتماعية .

وسيسعد الأدب الليبي والكتاب الليبي لمساهمة المرأة الليبية في التعبير عن واقع المرأة واستلهامه . ورغم عدم إيماني بالتقسيم الصناعي بين الأدب الرجالي والأدب النسائي إلا أن وصف الرجل لعالم المرأة يظل دائما وصفا خارجيا ونظرة مملاة من الخارج إلى أعماق ذات أخرى لا يسهل النفاذ إليها . . .

ومن هنا ترحيبنا بمشاركة الأديبة لطيفة القبائلي مقرونا بالأمل في أن تكون أعمالها القادمة أكثر إنطلاقا وأكثر إقتحاما لأعماق النفس الأنثوية . فما زالت هذه الخطوات محكومة بشيء من التحفظ النفسي والإلتزام بالموعظة الإجتماعية . . . وما يزال الحجاب النفسي يفعل فعله في الجام كثير من المشاعر وإخماد كثير من الأحاسيس .

أغلب الصور التي كتبتها الكاتبة تختم بالثقة والأمل والإنتصار . فالمرأة هنا لا تعرف الهزيمة ولا الإستسلام ولكنها تثور وتؤكد وجودها وتظفر في النهاية بالموقف الذي يساعدها على أن تحقق ذاتها وتمارس إنسانيتها .

وما أظن الرجال سيضيقون بهذا التعصب الذي تبديه الكاتبة للمرأة ، فهي هنا في صورة أقوى وأسمى من الرجل . . . أليست هناك بعض نواحي الضعف البشري لدى

الجنس اللطيف ! وهل مشاكل المرأة محصورة في قضية الخيانة الزوجية والعيش مع أسرة الزوج والحيلولة دون التعليم . . ما يزال هناك الكثير من القضايا التي تنتظر مساهمة الكاتبة الفاضلة بنظرة أوسع وأرحب وتناول فني أرفع . فلعل الإنتصار الذي يميز نماذجها يكون دوما هاديا لها فيما تريده لنفسها وما نريده لها من مستقبل في عالم الكتابة .

خليفة التليسي

الكذبة الأولى

أقبلت فاطمة من المطبخ وعلى شفتيها إبتسامة رقيقة وهي تقول : (جيت . . واللّه ما ندري عليك . . اسم اللّه عمرك ما تدورني . .) فرد قائلا : (وين تبيني ندورك وأنتي ديمة مركونة في هلمطبخ ، المفروض توا الغدا جاهز وانت كملت شغل البيت) يا أحمد تحساب شغل البيت يكمل ؟ . . واللّه من الصبح وأنا على رجل . . .) فرد بابتسامة : على رجل ؟ وين رجلك لخرة ؟ فضحكت وقالت . . هيا تعالى الغدا جاهز . .)

وفي أثناء تناولهما الغداء كانا يتبادلان الأحاديث والنكت اللطيفة . . . وانتهزت فاطمة هذه الفرصة فقالت : خالتي أشرت حاجات تهبل . . أنا مانبيش نشري غير نبي تتفرج . . فرد بصوت جاد : (خود يا سريب عاد . . مش قلنا لك حكاية

المعرض هدي إضربي عليها طابية ؟ . . كل عام نقعد نعاود في نفس الأسطوانة ؟؟

أنا ما عنديش مرا تمشي للمعرض . . قلت هالك ٢٠ مرة . . أحست بغصة في حلقها وهي تقول (يا لطيف واللّه ما قعدت . . لا محجوبة ولا مرتوبة غير أنا واللي حظهم في الطابونة زي حظي) . . (هذا الحاضر يا ستي . . كان مش عاجبك هاداك شيء تاني) . . ولم ترد بشيء عليه فقام يغسل يديه بينما بقيت هي في مكانها شاردة الذهن . . لقد سرحت خواطرها الى عهد الدراسة عندما كانت هي وزميلاتها يتناقشن في مسألة التقاليد البالية وجهل الأهل وتضييق الدائرة على بناتهن . . لقد كن يحلمن بالزواج والهروب من سجنهن الرهيب . . وفعلا تحقق هذا الحلم لبعضهن كزكية بنت خالتها وزميلتها في الدراسة . . لقد تزوجت من شاب مثقف واع حقق لها كل ما تريده من سعادة وحرية . أما هي فزوجها يدفنها في قوقعة مظلمة . . إنها تحس بالندم وبخسارة سني الدراسة التي كدت فيها وتعبت . . يا ليتها أكملت دراستها كبقية صديقاتها . . وبينما هي غارقة مع شريط الذكريات والتمنيات أقبل أحمد وقال : (شن فيه . . خيرك مادة بوزك عشرة ميترو) . . فلم تجبه للمرة الثانية . . واستمرت في

شرودها . . وجاءتها فكرة . . لماذا لا تذهب من غير علمه . . لا بد أن تذهب للمعرض . . سوف تتفق مع زكية وتذهبان معا في الصباح . . ونهضت تجمع الصحون وهي تتظاهر بالرضا . . ولكن أعماقها كانت في ثورة وصراع . . وهناك هاتف قوي في نفسها يدفعها ويلح عليها في الذهاب . . وقبل أن يخرج أحمد كعادته بعد ظهر كل يوم قالت له في رجاء : (أحمد خليني نمشي لزكية . . أول أمس خليتها مريضة في حالة) . . فقال أحمد : (امتى مرضت . . مش قلت لي مشت للمعرض) ؟؟ فقالت فاطمة : (بعد المعرض قالوا انفلونزا بس ما عادش قابلتني وما نسألش عليها ؟) فقال لها أحمد : (اسمعي . . ما تطوليش) .

ذهبت فاطمة الى زكية التي لم تكن تشكو من شيء . . بل إنها حيلة دبرتها فاطمة لكي يسمح لها بالذهاب إليها . . واتفقت معها على الذهاب في اليوم التالي الساعة العاشرة . . استيقظت فاطمة مبكرة حتى تستطيع أن تذهب للمعرض وهي مطمئنة بعد ان تنظف البيت وتجهز الغداء . . وفي الموعد المحدد خرجت فاطمة وعرجت على زكية وذهبتا الى المعرض . . وفي أثناء تجوالهما بين الأجنحة كانت فاطمة تقول بين الحين والآخر لزكية : (يا وخيتي حس قلبي راكب فيه

النار . . . زعمة ما يفيقش بيا) ؟ وكانت زكية تقول لها : (واللّه من رأيي قلتيله يا فاطمة . . توا أنا جاية مطمئنة لأنـي قلـت لفاضل . . راه حاجة السرقة الواحد ما يتمتعش بيها) . قلتله وما باش يخليني . . تحسابي حظي زي حظك ؟ . . راني عايشة غير من قلة الموت مقهورة لا خشة ولا طلعة . . حتى الوحش كلاني . . (يا لطيف يا فاطمة . . أحمد رجعي) . . . هو واخذ طوله وطول عصاته وحابسك في حكة . . اسمعي وكانـي من زيك ما نرضي بالوضع هذا . . شن يحساب نفسه ، فيه الزايد كيف ما يقولـوا (كل من سارق مشـكاك) المفـروض يتطـور ويفيق على عقله . . الشرف مش بالضغط وتصكير البيبان . . أنا كل ما نسمع الواحد مضيق على أسرته نعرف ان سلوكه بره من البيت يختلف . . يحساب زي ما يفكر هو يفكروا النـاس الثانية . . . عقول خاربة حصلنا فيها) . . . وأحست فاطمة كأن كلام زكية قد هون عليهـا هول ما كانـت تفـكر فيه . . فتشجعت وقالت : خلاص واللّه ما عاد راضية بالمعيشة الزفتة اللي عايشتهـا ، هو يسهـر ويسافـر ويتفسـح وأنـا محبوسـة ومقهورة .

نظـرت الى ساعتهـا فوجدتهـا الساعـة الواحـدة فتبخـرت شجاعتهـا وروح التحـدي التـي كانـت تتكلـم بهـا وكادت

تجمد . . وأخذت تلح على زكية في الرجوع بأقرب سرعة إلى البيت .

وصلت الى البيت وكاد يغمى عليها عندما شاهدت سيارة زوجها . . وصعدت السلم وكأنها غائبة عن الوجود . . وفتحت الباب ، دخلت فاستقبلها أحمد قائلا : يا سلام . . ما شاء اللّه . . وين كنا يا ستي . . واللّه آخر ما يخطر على بالي . . فقالت فاطمة : سامحني يا أحمد . . يا ريتني تكسرت . . يا ريتني متت .

زادت في البكاء . . وكانت نظراته الغاضبة الثائرة مسلطة عليها في حدة وهو يقول : (توة نمشي لبوك وتتفاهموا وما عادش تلزميني) . . وتركها تبكي وخرج .

لحظة سعيدة



كان يتأملها في حب وإعجاب . . يتأمل جمالها . . رقتها . . هدوءهـا . . إبتسامتهـا المشرقـة . . لكم يحـب هذا الوجـه الضاحك البشوش . . ان حبه لها خارق . . انه يعبدهـا . . شرد بخاطره عبر ثلاثة أعوام حينما رآها صدفة . . راح الحـب يتسلل الى قلبه . . حب واع لشاب رزين واسع الإطلاع . . وفي خلال الزواج واصلت دراستها واستمرت بنجاح . . وان هي إلا بضعة أشهر حتى تتخرج ويحتفل بنجاحها إذ أنه يعتبره نجاحـا له . . وأنهما تخـطيا كل العقبـات في سبيل تحقيق رغبتهما .

أخرجه من شريط الـذكريات صوتهـا الـرقيق : (علي . . والنبي يا حبيبي تشرحلي النظرية هدي) . . فربت على كتفها وهو يقول : (ارتاحي شوية . . حتى الموت تعطي راحة . .)

فقالت : (معادش فيه وقت . . الإمتحان قريب . . خليني نكمل ها هالسنة ونرتاح راحة باهية . . سامحني يا عليوة ديمة متعباك ومكسرتلك راسك ومشغولة عنك . . لكن أهو قريب يا حبيبي واللّه جميلك طول عمري ما ننساشي) . . ضمها إليه في حنان ومحبة وهو يقول : (لا . . لا . . تعبك راحة يا حبوبتي . . والغالي في سبيلك يرخص . . يا سلام . . ما أسعدني بيك يا زينب ، واللّه أنا بنعتبرك هدية عطاها لي ربي . .) . . فردت بصوت رقيق وابتسامة خجولة : (كل يوم تزداد معزتك ومحبتك عندي . . آه . . الحمد للّه على هالسعادة اللي عايشة فيها . . تصور يا عليوة لو كان بوي أصر في كلامه . . كيف تكون حالتنا زعمه ؟ أما من ناحيتي أنا كل ما نتخيل الموقف هذا نحس بدوار ، وما نقدرش نستمر فيه . . فأجابها على الفور : (أنا لما جيتك وقررت نتوج حبنا بالزواج صممت باش نعمل المستحيل حتى نظفر بيك . . وأعتقد يا زينب أن التصميم على الشيء والرغبة الصادقة في الوصول لهذا الشيء تخلي الواحد يصل ليه مهما كان صعب وما أحلى السعادة بعد التعب والجري والشقي) . . ضحكت بدلال وهي تقول مازحة : (ما أحلى الوصول اليه) . . (إلى من زعمة ؟) فتوسعت إبتسامتها وقالت بحب عميق : (إليك . .) فأخذ يدها بين يديه وهو يقول : (يا حبيبتي . . أنا سعيد . . سعيد

بيك ونادم على أيام العزوبة . . ما كنتش تتصور يا زينب أن الزواج سعادة واستقرار بهذا الشكل ، تصوري أنـا ما كنتش نطيق قعاد البيت حتى ساعتين على بعضهم ولكن بعد الزواج بديت نراجي في الوقت اللي نروح فيه) . . (واللّه حتى أنـا كنت خايفة من الزواج . . لكن الحمد للّه يا رب إن شاء اللّه حياتنا تمشي ديمة هكي) . . اطمئني يا زينب ما دامت أهدافنا واحدة إطمئني على حياتنا . . ان شاء الله تستمر سعيدة يظللها حبنا لبعضنا . . إحنا نسينا النظرية واللي يجي منها . . باهي يا ستي توه عاد جد في جد) .

اللفافة الصفراء

طرق باب بيته وهو يصفر ألحانا موسيقية بينما أخـذت يده اليسرى توقع ضربات رتيبة على اللفافة الصفراء الكبيرة التـي يحملها عادة في نهاية كل شهر .

فتح الباب وبرز منه رأس صغير صاح مرحبا بأبيه وباللفافة الكبيرة الصفراء . . بسرعة صبيانية إقترح على أبيه أن يسلمه إياها ليكفيه مؤ ونة حملها ، ولكن هذا الطلب قوبل بالـرفض فاقترح أن يحمله أبـوه إذن . . وكلا الإقتراحـين عنـده سيان فالمهم ان يكون في الموقع الإستراتيجي بجانب اللفافة .

وكفى الصغير سعادة ، فهو قد ظفر بالإثنين معا ، حضن أبيه وقربه من المفاجأة .

بعد أن حيا محمود زوجته وضـع الإبـن واللفافـة بالقـرب منها ، وأسرع يخلع بذلته الزرقاء بعناية فائقة ، حتى لا ينكسر

كيها ، ولا تقطع أزرارها ، خاصة وأن لهذه البذلة عنده مكانة خاصة . . فقد كانت الوحيدة التي اشتراها مختارا لا كبقية ملابسه التي اعتاد أن يشتريها تحت ضغط الظروف في حدود نقوده المحدودة حتى ولو لم تلائم ذوقه .

بعد أن ارتدى جلبابه الطويل طلب من زوجته أن تعد الغداء ، وأسرع إلى جهاز الراديو الصغير القديم ليسمع من خلال صفيره وعويله أخبارا يستطيع أن يقولها لرفاقه مستعينا بعلمي البلاغة والمبالغة ليوحي إلى سامعيه بأنه من الشخصيات السياسية المطلعة . . وبعد الغداء جلس الأب يداعب إبنه بينما أخذت الأم في تحضير أدوات الشاي ثم جلست واشتركت في مداعبة إبنها وهي تقص على أبيه ما أتى به من شيطنة و(عفرتة) ثم أخذا يتحادثان في سرور ومرح . . فاليوم يوم مشهود وجيب أحمد يضم ما يدخل السرور على الأسرة من أمثال أسرة أحمد .

وأخيرا نهض وارتدى بذلته العزيزة وتحسس جيبها الأعز وسأل زوجته عن عشاء الليلة وماذا تطلب له من مصروفات غير عادية . . ثم خرج .

وفي مقهاه المفضل قابل أحمد رفاقه في الموعد المحدد وجلسوا

في ركن غربي يسمح لهم برؤ ية الطريق ، وانهمكوا يرتشفون الشاي والحليب والقهوة ، كل حسب طلبه ، وكانت تبدو عليهم السرعة في تناول مشروباتهم وكأنهم على موعد آخر قريب .. وفعلا كان ذلك .. فقد وقفت سيارة بالقرب من المقهى فأسرعوا إليها وركبوها ، وانطلقت بهم مخترقة الشوارع حتى خرجت من المدينة الى المزارع والحقول الخلابة فزادتهم هذه المناظر غبطة فتعالت صيحاتهم بالضحك .. فإلى أين يا ترى هم ذاهبون ؟

في منتصف الليل عاد أحمد يترنح ذات اليمين وذات اليسار وبذلته الحبيبة مبهدلة الجوانب ملأى بآثار الأكل والشرب .. ووصل إلى بيته بعد لأي وكانت زوجته المسكينة واقفة بجانب الباب ترتقب مجيئه وهي على أحر من الجمر .. فتحت له الباب بعد طرق ، دخل بصورته تلك .. فلما وقعت عيناها عليه حتى صرخت مفزوعة لا تصدق ما ترى ، فما عودها أن تراه بمثل هذه الحالة المزرية غير اللائقة .

أخذت تولول وتندب حظها وهي تحوم حوله لا تستطيع الإقتراب منه . بينما اتجه هو إلى حجرة النوم واستلقى على فراشه بكامل لباسه .

أيقظت هذه الضجة الإبن الصغير فنهض وجرى نحو

أبيه ، ولكن لم يصل إليه ، فقد أوقفته أمه ومنعته من ذلك ، بل أنـه هو نفسـه أحجـم عن الإقتـراب من أبيه حـين رآه ، فانهمك في الصراخ . .

كل ذلك وأحمد لا يعيرها أي إهتمام ، فقد استلقى على فراشه ببذلته وحذائه يخور كالثور . . أما الزوجة . . الزوجة المسكينة فقـد كان قلبهـا يعتصر ، وأحشاؤ هـا تتلـوى كأنهـا على جمـر ملتهب . . وبدأت الدموع تتساقط من عينيها غزيرة محرقة . . أمّا فوزي فبكى طويلاً ثم غلبه النعاس فنام .

بزغ الصبـاح وبـدأت الـديكة تصيح والآذان يعلـو شاقـا السكون الشامل . واستيقظ عباد اللّه لصلاة الفجـر وهـي ما تزال جالسة تبكي . وصـور الأمس الأليمـة تمـر أمـام عينيهـا فتتصور زوجها حاملا الإبن واللفافة . ثم خروجـه ثم كيف كانت تعد له العشاء فرحة مسرورة تنتظر تلك السويعات التي ستكون خلالها بجانب زوجها وابنها حول هذه المائدة الشهية التي لا ينالونها إلا بعد أن يأتي أحمد باللفافة الكبيرة الصفراء في نهاية كل شهر ، ثم تتذكر إبنها وهو يستعجل الأكلة وهي تعده بقرب الموعد . . ولكن طال الإنتظار ونام الطفل دون أن يأتي أحمد . . وأخيرا أتى ويا ليته ما أتى .

استيقظ أحمد فراعه أن رأى نفسه بهذه الصورة . . فنهض

مندهشا أول الأمر ثم تذكر أمسه فآلمه ما جرى ، وقام متجها نحو دورة المياه ، وفي طريقه إليهـا رأى أوانـي العشـاء ملأى بالأكل ، والتي كانت تنتظره مع زوجتـه وابنـه الحبيبيـين فدار رأسه ونزلـت دمعتـان كبيرتـان من عينيه ، وتمتـم يلعـن ذلك الشرير السكير ورفاقه الذين أغروه بمشاركته رحلتهم . . قالوا له أنها لطيفة جميلة ، فما رأى إلا وهو بينهم في مزرعة أحدهم وأمامهم الخمر . . ولم يفده إمتناعه عن الشرب شيئا ، فقـد فرضوا عليه الشرب فرضا فلم يستطع منه خلاصا ، فوافقهم بعد مشادة طويلة وشرب معهم حتى أصبحوا لا يعون شيئا . . وبعدها عاد كل واحد منهم إلى أسرته ، كتلة من اللحم القذر تمشي على الأرض بلا عقل او تفكير . . بل دون إحسـاس أو شعور .

هنا وصلت درجة التأثر منتهاها بأحمد ، الذي لم ينزل قط إلى مثل هذا الدرك الأسفل من الإنحطاط والخسة . . وعندما رأى عيني زوجته الدامعتين الحمراوين زاد ألمه . . وفجأة أحس بالأرض تدور به . . وغشيه ضعف مباغـت فهـوى على الأرض .

وجرت الزوجة الحزينة إليه تكلمه وترشه بالماء .

وكانت مرة ظلت يتيمة خلال حياتهما .

آخرِ وقت

تكاملت الأسرة في جلسة رائعة أمـام الجهـاز التلفـزي . . الكل ينصت إلى ما يدور في الندوة من أفكار ومناقشات بـين الشباب والفتيات وكانت خالتي (حليمة) تعلـق بـين الفينـة والأخرى على هذا وتلك لا تسكتها إلا عزيزة إبنتها الصغرى الجريئة الطالبة بالمدرسة الثانوية .

ايه « آخـر وقـت » البنـت منـكن . . والرجالـة ما عادش عندهـم حكم . . يا كبـدي . . البنـت تنـاصي الراجـل لا استحت ولا تحشمت . . وشنو . . على الزواز والرجال آخـر وقت !!!

يا ربي استرنـا دنيا وآخـرة . . أرجـوك أسكتـي . . إحنـا بنسمعوك إنتى والا هم ؟

اتـن البنـات ما دابيكن علفنـاكة وصحـت الوجـه . .

أرجوك . . نخلُّو لك الدار . .هدي « عزوزة » * . . يا كبدي العين جتني فيك شنو نبي ندير أنا وين نقدرك حاكمة في روحك يا حنا . . وبوك راضيلك . . اللّه غالب . . أرجوك يا أمي . . غير اسكتي لين يكمل البرنامج وبعدين إحكي وعلقي على كيفك . . كانك حتى بتاخدي عصا وتمشيلهم بيها بري . . « باهي . . أنا سكتنا » توه إحنا تحت حكمك . . أس . . أس .

أس . . قالها أحمد بنرفزة واضحة . . وهنا أحجمت خالتي حليمة عن الكلام برضوح تام . . واطمأنت عزيزة الى خلود أمها الى الصمت نظرا له (. . أس . . أس . .) التي قالها أحمد .

لا . . هذا إجحاف وظلم للمرأة الليبية . . قالتها عزيزة بمرارة بعد أن انتهت الندوة . . لكن ما توصلوش لشيء . . مجرد تبادل إتهامات وبس . . شنو الفايدة ؟

وتحول الكلام مناصفة بين أحمد وأخته عزيزة حول ما دار في الندوة . . كانت هي تدافع بحرارة عن الفتاة الليبية (المسكينة) بينما أخذ أحمد في تحليل ومناقشة الآراء نقطة نقطة . . كان مع عزيزة في رأيها المعارض القائل بأن الفتاة

* عزوزة تصغير لعزيزة .

الليبية لا تصلح زوجة وأما وربة بيت ، ولكنه أبرز كلام الأخ الذي قال . . انه عندما يشاهد موكب زفاف يحس كأن جريمة في طريقها للإرتكاب .

المفروض أنتم الشباب المثقف خاصة ما تصححوش*الفكرة هذه . . لأنكم - وهذا المفروض فيكم طبعا - عارفين ظروف ومشاكل الأسرة ككل وبعدين عارفين معدن وأصالة الليبية فحتى وان كان فيه نوع من التعب والإرهاق المادي والمعنوي لكن هذا ما يجعلش الواحد يحس بالإحساس الموغل في الحزن والأسى عندما يشاهد موكب زفاف . . أنا عندي صديقات كن محجبات وكن يعشن في أسر محافظة جدا جدا وتزوجن بالطريقة التقليدية لكن أزواجهم من النوع المتحرر . . وأقصد بالتحرر . . التحرر الذهني والفكري . . فبمجرد ما تزوجوا أخذوا بأيدي زوجاتهم اللاتي لا يعرفن عن الدنيا شيئا . . واليوم أصبحت منهن فلانة وفلانة .

نماذج نفتخر بها كليبيات . . فحل المشكلة في أيديكم أنتم يا شباب بدليل أنا على ما ترجيت في أمي باش تسكت ما بتش ، ثم سكت . . ليش لأن كلمة . . أس اللي قلتها أنت خليتها تسكت على طول . . ليش لأن كلمتكم ماشية . . (باهي

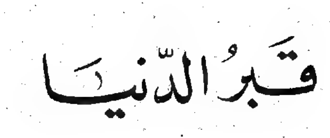
---

* من تُصحَّحْ

كملت توه ؟) أنا نقول في الحق . . قالتها لأحمد بابتسامة حنونة (عارفك . . عارفك . .)

خليني أناقشك شوية في الكلام اللي قلتيه .

وسمعت صوت أمها يناديها من المطبـخ . . فأسرعـت إليها . . قال أحمد : تعالي . . تعالي . . خيرك هربت ؟؟ لا ما هربتش . . بس خليها بعدما تنعشوا . .


قَبرُ الدّنيَا

كانت تشرب الشاي بتلذذ وهي تتصفح مجلة نسائية ، فجأة تركت فنجان الشاي جانبا وأخذت تلتهم سطور إحدى الصفحات بنهم ، بعدها سرحت بعيدا بعيدا ويدها لا زالت ممسكة بالمجلة . . إنها مأساتها تماما . . زوجوها وهي لا زالت طالبة في السابعة عشرة من عمرها ، وهو يكبرها بخمسة وعشرين عاما . . رضيت به باديء ذي بدء لتتخلص من أربعة جدران . . لا . . بل قضبان تعيش بينها . . ولتتخلص أيضا من زوجة أب ظالمة أذاقتها العذاب ألوانا .

كانت تعتقد أنها ستجد الراحة في ظل زوج حنون يسهر على راحتها . . يقدرها ويعطف عليها . . ولكن مشاكلها بدأت منذ أن دخلت هذا البيت . . وعلى وجه التحديد بدأت من الشهر الثالث لحياتها مع هذا الزوج الغيور . . الحقود . . مشاكلها ومآسيها بدأت تأخذ طابعا آخر غير الطابع الذي

تعودت عليه في بيت والدها . . تقارير يومية عليها ان تقدمها كل يوم . . الأبواب مقفلة . . حتى جرس الهاتف محسوب عليها . . دخلت في سلسلة جديدة من الممنوعات من نوع جديد . . يا له من حظ تعس لازمها . . وفجأة سمعت مفتاحه يدور في قفل الباب . . تصنعت شبه إبتسامة قلقة حزينة كئيبة . . دخل فوجدها جالسة على مقعد وأمامها فنجان الشاي والمجلة .

قالتها بلغة تقليدية تعودتها : خاطري ضاق ، خديت نعاود في قراية المجلة ، النبي جيبيلي مجلات . . شورك عمرك ما تملي من قراية الكواعظ . . كل هذا يذهب الشيرة .

- عمري ما سمعت أن القراية تذهب الشيرة . . هي اللي توسعلي في خاطري .

« ديمة وانت خاطرك ضايق » . . لا نطلع لا نخش ديمة فراغ » . . على الأقل الواحد يضيّع بيهم الوقت .

فترة صمت مرت دون أن ينطق كلاهما بكلمة . . شعر فاحم طويل أخذ ينسدل بدلال على كتفيها . . عينان واسعتان جميلتان . . أنف روماني دقيق . . وشفتان في لون العقيق . . أحس كأن الغيرة حولته إلى لهب من نار . . . لكم يتعذب . .

أتراها تحبه ؟ ؟ أتراها تعزه ؟ ! آه . . ليت الشباب يعود يوما . . ولكن ما باله يحمل هما ؟ ؟ فالشباب شباب القلب وما دام قلبه شابا فلن يضيره أبدا ان شاب رأسه أو هرم جسمه . . قال لها بعد أن غاب مع خواطره لحظة :

ـ منو جاك اليوم ؟؟

قالت بدون إكتراث : منو يبي يجيني . . رحمة اللّه . . بصراحة أنا نحس باختناق . . نحس كأني نعيش في زنزانة .

هذا حوش يقولوا عليه زنزانة . . رانك يا مرا . . أنت ما زلت صغيرة وما تعرفيش شنو ينفع وشنو يضر . . وبعدين لما نقولك ما تطلعيش وما تفتحيش الرواشن لأني راجل مسلم متدين ومنحبش الناس يتكلموا على . . دينًا يقول المرأة يجب عليها تلزم بيتها .

ـ يا سلام . . قداش تظلموا في الدين ، الدين عمره ما يقول إحبسوا المرأة وصكروا عليها البيبان . . واللّه الشعور هذا يخليني نحس كأني متهمة وتحت المراقبة . . آه . . حظ وخلاص ، بداية عمري عذاب والظاهر حتى نهايته تبي تكون عذاب .

أحست بثورة . . وبدموع تتساقط غزارا على خديها . .

شعرت وكأنها تتنفس غازا ساما . . قالت من بين بكائها . . لا . . لا . . ما عادش نقدر أنا نبي نعيش - جيلي وعمري - مش مفروض علي نعيش زي ما عاشت جدتي وجدي . . أحسّت بيد تنهال عليها ضربا . . يا له من ثور هائج . . الغيرة حولته إلى وحش .

ساعة عاصفة مرت . . ها هي الآن جالسة . . تفكر وتفكر . . إنها لا تستطيع أن تعيش معه بعد اليوم . . هل تستنجد بوالدها ؟ ولكنها تعرف كلامه مسبقا . . هل تطلب النجدة من زوج أمها . . انها لا تثق في نيته تجاهها . . ماذا تفعل يا ترى . . يا رب . . قالتها من أعماقها .

مرت ساعة حائرة رهيبة أحست بعدها بميل شديد إلى الراحة والنوم . . أما هو فدفن غيظه في علبة السجائر التي أمامه . . ليت السجائر تطفىء لهيب غيرته . . انه يحبها ويخاف عليها . . ليته يعيش وإياها في صحراء خالية .

راجع نفسه قليلا . . ما باله يفكر بهذه النظرة القاتمة المتشككة . . انه لم يلحظ عليها أية بادرة تستدعيه لأن يعاملها هكذا . . انها متزنة وعاقلة . . إذن ما الداعي الذي يدفعه لأن يحمل هذا الشعور . . قالها بدون تردد وهو ينظر إلى نفسه في مرآة أمامه . . آن للربيع والخريف أن يلتقيا .

وَأطعتُ قلبي

كان كل تفكيري مركزا على شيء واحد وموضوع واحد وهدف واحد . . وهو أن أستمر في دراستي . . إصراري على النجاح والتفوق كان يشل عقلي عن التفكير في أي شيء آخر . . ومرت السنون من نجاح إلى نجاح . . كلما إنتهى عام دراسي إزدادت رغبتي في الإصرار على مواصلة الطريق حتى النهاية .

ويوما ما أتاني صوته عبر أسلاك الهاتف . . كان زميلا يسبقني في الدراسة بسنوات . . جمعتنا لقاءات الكلية المشتركة . . لم يكن هناك نوع من علاقة تربطنا . . وتحدث إلي طويلا . . كان صوته عميقا . . رجوليا . . وهو يحدثني عن قصة السنوات الثلاث التي قضاها في الخارج بعد التخرج للإلتحاق بالدراسات العليا .

تصورته بقامته المديدة . . ووجهه الأسمر . . وتقاطيعه

البدوية الصارمة الودودة . . لم يغير منه السفر شيئا . . لم تلونه المدنية الحديثة . . لم تخطفه بنات أوروبا . . ولكنه عاد . . عاد إلى بلده وأهله ومجتمعه .

تعددت محادثات الهاتف بيننا . . ومرّة سألني رأيي في الزواج . . أن أكون شريكة حياته ومستقبله . . أن أمنحه الحب الذي رفضه من أجمل بنات الدنيا وأكثرهن تحررا . . ترددت . . ترددت كثيرا . . ولم أرد عليه .

ولكن أشياء غريبة حدثت . . دبيب غريب لم أشعر به من قبل . . وأحلام كنت أرفضها بشدة طوال السنوات الماضية من عمري . . زواج . . بيت . . أطفال . . حب ، وبدأت هذه الألفاظ تطغى على شعوري وأحس بها . . نفحات حلوة تغمر كياني كله . . بدأت أهتم بأنوثتي . . أعتني بجمالي . . أقف أمام مرآتي طويلا . . وقد طال هجري لها زمنا . . ويأتيني صوت عقلي من أغوار الماضي . . أهكذا يصرعك الهوى . . أهكذا تستسلمين لسهم الحب وتتخلين عن الهدف الذي قطعت فيه أشواطا . . وتتصدى عواطفي لمنطق العقل . . ولم لا . . أليس الحب هو غذاء الروح ؟ . . أليس البيت والزوج والأطفال هم نهاية المطاف ؟ . . يجب أن أعطي لقلبي فرصة لالتقاط الأنفاس . . يجب أن أعيش عواطف الأنثى وأدع

الأمور تسير في طريقها الطبيعي .

ويزداد الحوار بين العقل والقلب إتساعا . . يصل إلى حد الصراع أحيانا . . لقد رفضت فكرة الزواج قبل ذلك مرات ومرات . . تقدم إلي الكثيرون ولكن طموحي كان أكبر من عاطفتي . . فماذا بي اليوم . . لا أدري . . كل الذي أدريه . . أنني بدأت شيئا فشيئا أنسى أو أتناسى هدفي . . راودتني النفس أن أتوقف عند هذا المنعطف من جسر الحياة الطويل .

كنت في الماضي أرى في الحب جريمة . فما بالي اليوم لا أفكر إلا فيه ؟ كنت كالسفينة التائهة في عرض البحر يتقاذفها الموج وآن لها أن ترسو على شاطىء . . وقطعت الشوط الى نهايته وتم الزواج . . كنت سعيدة وفخورة بالحصول على رجل مثل زوجي .

وذات ليلة كان لنا حديث . . لم يكن حبا ولا عواطف . . كان حديثا جادا ، بدأ بسؤ الي :

ـ وماذا بعد . . هل انتهت حياتك عند هذا الحد ؟ هل نسيت أحلامك في الدراسة والنجاح والتفوق والحصول على شهادة عالية تواجهين بها الحياة ؟

وأقول . . وكأن اللسان ينطق بحديث القلب :

ـ لا عليك . . فأنت حياتي وأملي وهدفي ودراستي وشهادتي التي خرجت بها من الزمن كله .

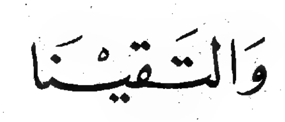
ـ دعك من حديث اللهو وكلام العشاق . . لماذا لا تواصلين دراستك وأنت زوجة ؟

وأخذتني الدهشة . . لقد نسيت هذا الأمر . . ولكنه لم يكترث بالتوتر الذي أصابني . . وتابع حديثه :

ـ ان الفرصة مهيأة لك أكثر وأكثر الآن . . ان حياتك الآن أصبحت فارغة إلا من السويعات التي نقضيها معا . . فاذا أمكنك إستغلالها في تحقيق هدفك الأسمى كان ذلك أدعى إلى سعادتي بك . .

إنتهى الحوار بعد هذا الحد وتركني أفكر في الأمر . . وفوجئت بعد أيام باستدعائه في بعثة للخارج . . وبقيت وحيدة إلا من الذكريات . .

عاودتني أحلامي من جديد . . إنها ليست أحلامي فقط . . بل وأحلامه أيضا . . ان الطريق الذي كنت قد نذرت نفسي له في بدء حياتي . . وراقت لي الفكرة واستجمعت قواي . . واستأنفت المشوار الطويل .


والتقينا

لـم أصـدق وتعلقـت بخيط من الأمــل . . الخبــر كاذب بالتأكيد . . لا بد وأن هنـاك التباسـا أو شبهـا في الإسـم . . وانتابتني مخاوف وشكوك . . لم أنـم ليلتهـا . . كنـت أسرح بعيدا الى هناك . إلى شمال القارة الأوروبية حيث زوجي يتم دراسته .

هـواجس وإحساسـات مرة تنقلنـي إليه بعيدا . . أراه قد تغـير . . تبـدل . . لم يعـد لي . . قد نسي الحـب والربـاط المقدس .

وأعـود في محاولـة للتخلص من هذا الشعـور الـذي يكاد يدمرني ، ولكنها إحساسات عنيفة تنتزعني من واقعي إنتزاعا لتنقلني إلى عالم كله مرارة وحزن . . فأتذكر وأتذكر وتـزداد لوعتي .

ويلي . . لم أصدق . . هراء ما سمعت ، أين رسائله . . أين مكاتباته ؟ لقد بدأت تنقطع عني بالتدريج . . فأرسل الرسالة تلو الرسالة ويأتيني رده فاترا . . يروي قصته مع عذاب الغربة والمذاكرة واللغة فأعذره وأعيش على أمل عودته القريبة .

لم أكن أتصور أنه سيتركني كل هذه المدة . . لقد وعدني أنه سيدبر أموره ثم يرسل إلي لألحق به . . وانتظرت وكان عذره أنه لم يوفق في الحصول على سكن وأن المعيشة جد باهظة هناك .

ومرت الشهور ومع كل شهر كان لي أمل . . إلى أن كان يوم أدركت بعده أن زوجي لم يعد لي . . وانني أعيش على سراب .

طويت آلامي . . كنت أتظاهر بالصبر وعدم الإكتراث . . ولكن إشراقتي . . بهجتي . . وحتى بسمتي كانت تنبىء بحيرتي وعذابي . . كان الجميع يحاولون تعويضي بمزيد من الحب والعطف . . ومزيد من الحنان .

وتباعدت رسائلنا . . ثم انقطعت . . لم أعد أكتب إليه . . فكبريائي وكرامتي منعاني من أن أكتب كما كنت أفعل .

أصبحت كل أيامي ولياليّ أحلاما متناثرة . . شكوكا وأوهاما . . ثم أملا وحلما جميلا بمستقبل رائع . . كلها سنتان ويرجع حبيبي حاملا معه أرقى الشهادات . .

« والدتي . . أهلي الأحباء . . تحياتي . . لا أستطيع أن أصف لكم شوقي ومحبتي . . كيف حالكم جميعا .. أنا بخير والحمد لله . . لقد رزقت إبنة جميلة أسميتها سونيا . . عفوا فأنا قد تزوجت منذ السنة ونصف السنة . . أرجو أن تخبروا زوجتي بهدوء وحاولوا ان تصفوا لها الأمور بتواد . . سأرسل إليها ورقة الطلاق قريبا » .

لم أكمل قراءة الرسالة . . لقد ذهلت . . وروعني ما حصل . . أحسست كأن دموعي تحجرت في مآقي واستسلمت لانهيار شديد وكأن الدموع أبت إلا أن تتصدى لهول الصدمة فأخذت تتساقط دون وعي مني . . وتلتها حبات عرق غزيرة . . كان وقتها والده يتكلم وأمه وأخواته ، ولكني لم أشعر بمن حولي ولم أع ماذا أقول .

لململت أشلاء نفسي الممزقة وقلبي المحطم وعدت للأمل من جديد بحياة جديدة ومسيرة جديدة . دخلت الجامعة التي حرمني من دخولها بعد زواجي .

عدت لدراستي ونجحت بتفوق بالرغم من الصراع الـذي كنت أعيشه في محاولة لكي أنساه . . وأنسى خيانته لي ولعهـد الحـب والوفـاء الـذي قطعـه على نفسـه . . وكفـرت بالحـب وبالرجال .

ويشاء القدر أن يرجـع وألتقـي به وجهـا لوجـه في مدرج الكلية . . ولـم تصـدق عينـاي لولا أنـه طلبنـي بعـد إنتهـاء المحاضرة . . قال لي . . طلبتك لكي أهنئـك . . لا أريد أن أقول شيئا . . فقد حصل ما حصل وكنت أنـا المخطـىء على طول الخط . . ان غلطتي لن تصلح أو ترمم . . لذا أكتفي بأن أقول لك أنك بطلة . . وكفى . . ولم أقل له سوى كلمة . . شكرا .

وَانْتَحَرَت مِنْ جَدِيْد

أحسست بغمامة من الضباب . . شيء في داخلي يؤلمني . . زواجي . . حياتي . حبي . . كلها أشياء تؤ رقني . . تمزق نفسي وتشتتها إربا إربا . .

فكرت في أن أحب . . أن أعيش كالمحبين . . أن أعشق وأعيش كالعاشقين . . لم تنزلق قدمي . . لم أغلط . . آليت أن يكون حبي نقيا نظيفا . . وحاولت أن أبدأ يومي بصفحة جديدة . . يا سلام . . أنت رائعة اليوم . . فستانك جميل . . لا . . بل أنت الجميلة . . وأدرت وجهي لأرى مفعول كلام المحبين . . وانطلقت ملهوفا . .

سنة كاملة مرت من عمري . . سنة كاملة . . إثني عشر شهرا . . عشتها في ملل وضياع . . فراش يأويني في الليل . . ومكتب ومقهى يمتلكاني في النهار . .

فرق شاسع في التفكير بيني وبينها . . كل شيء رتيب . . ما عدا أحلامي . . أحلامي هي المتقلبة . .

وتمضي الأسابيع والشهور مثقلة . . وتزداد الهوة بيننا . . وأعيش الفراغ بكل تفاهاته . .

نوبات غريبة تنتابني . . أخذت أنوء بثقل التناقض بين عقلي وعقلها . . بين عاطفتي وعاطفتها . .

لقد انتحرت لمدة عام كامل . . وها أنا أفيق بعد إنتحاري . . أريد أن ألهو وأضحك . . لم يعد يهمني شيء سوى المتعة والراحة . . و . . الحب .

صحوت على صوت زوجتي تناديني للفطور . . تمنيت أن تخاطبني بكلمة حلوة دافئة . .

ونهضت وأنا أردد . . نعم يا حبيبتي . . يا لك من ملاك جميل . . والتفت إليها لأرى العكس من ذلك . . لأرى شعرا مهوشا ووجها شاحبا . . واستغربت هي . . رمقتني بنظرة إستهزاء حائرة . . وانصرفت تجهز نفسها ليوم دراسي حافل بالمشاكل . .

لم أفقد الأمل . . أعدت الكرة بعد أن أنهت زينتها . .

بدت لي أنها أكثر جمالا وأكثر صفاء . . ولكنها أقل إحساسا . . وسحبت يدي ، أحسست بها باردة كالثلج ، وتناولت سلسلة مفاتيحي وانصرفت أنا الآخر الى مكتبي لأدفن مشاعري بين الملفات . .

تعمدت أن أتأخر هذه الليلة . . لأوقظ إحساسها وأهز عاطفتها . . كنت طول الطريق أمني نفسي بعتاب منها . . وبعد العتاب نتبادل كلمات الود والصفاء . . ثم نتعانق في حب .

وشعرت بخيبة أمل كبيرة . . وجدتها في سابع نومة . . حاولت أن أحدث حركة وفوضى لتستيقظ وتعاتبني . . لتقول لي . . أين كنت . . شغلتني عليك يا حبيبي . . ولكنها لم تستيقظ ولم تقلها .

وقررت أن أصحيها . . وباشرت مهمتي وكلي أمل في أن أسمع منها كلمة أو همسة دافئة . . أو حتى إبتسامة أنثوية غنجي ، ولكنها رنت إلي بطرف عينين منتفختين من أثر النعاس وأمرتني بأن أنام وأطفىء النور . . ولم أجد في تلك اللحظة إلا لفافتي أحرق فيها كل طموحاتي في لحظة حب دافئة . .

أحسست أنني إنتحرت من جديد . . فأغلقت الباب على قلبي وودعت حياتي بصمت مثير . . وارتميت في معترك الحياة لأضيع بين الصفوف .

أمانٍ معلّقة

متاهات غريبة نسجتها لي خيالاتـي تلك الليلـة ، ولعلهـا الصدفة هي التي جعلتني أعيش الحـدث كلـه . . إحتفظـت بأماني معلبة داخـل صنـدوق وردي معطـر . . واكتفيت بأن أعيش آلة طيعة في يدك . . أتحرك بارادتك . . والتفت لليمين والشمال بإشـارة إصبعـك . . وأرى الـدنيا من خلال مثلـث حددته أنت والتقاليد .

كنت أنتظر الفرصة لأنطلق في عالـم مليء بالحـب والأمـل والحنان . . وطال إنتظاري . . وأحس بأني أتنفس القلق . . كل القلق . . وتسألني ما بي . . فتجيبك آهة حرى من أعماقي تفسرها نظراتي التائهة الحائرة . . . أين أنا . . أين موضعي في هذا العالم . . في مجتمعـي . . في أسرتـي . . لا شيء . . لا شيء . . انني صفر في عالم كله أرقام . .

وتعود بي الذاكرة عبر أسوار أحلامي وآمالي فأشعر بالضياع واللوعة .

كنت في أوج تفوقي عندما قفزت أنـت على سطـح أيامـي

ففرشت الدنيا ورودا وعبدت الطريق رياحينا ، أودعت فيك كل أحلامي وبقيت أنت سعادتي ودنياني .

كلمة قلتها دون هوادة . .

لا يعيبني أن أكون متزوجا . .

ترف الورقة في يدي . . ولكنني أظل ثابتة كما أنا . . أتحسسها من جديد فتقفز حروفها كبيرة . . وأقرأ . .

انني أحبك ولا يعيبني أن أكون متزوجا . . فحياتي مع زوجتي لا رونق فيها ولا جمال . . وتدور بي الدنيا . . تضيق في نظري . . لم أجد ما أفعله سوى ثورة عنيفة تنفجر في داخلي ، فأثور لكرامتي وأنتقم لأنوثتي .

كلمة قلتها دون هوادة وعصفت بي بسهولة ويسر . .

أفيق من ذهولي فأجدك مسمرا أمامي . . لست أعي ما قلت لك . . ولكنني ثرت وبدأت أحقق ذاتي وأشعر بكياني .

أحسست بأن علبة أحلامي قد انفتحت أمامي فجأة ، وأماني قد بدأت تزهر وترتوي . . وطموحاتي أصبحت تتجدد . . ولم يعد لي من حياتي السابقة سوى تلك الورقة التي وجدتها صدفة واحتفظت بها . . ذكرى .

لَسْتُ عَاقِراً

الجو جميل وساحر في تلك الأمسية . .

أشعة الشمس الغاربة أضفت ألوانا وردية على الأفق . .

فبدا المنظر رائعا يبعث في النفس الراحة والطمأنينة . .

وتغمرني أحاسيس تحلق بي لحظات في أجواء من السعادة الغامرة . .

فأسلمت روحي لتسبح في جمال لا نهائي . .

لست أدري لماذا ذكرتني هذه التأملات بأشياء كانت دفينة خاطري . .

وأغرق في خيالات لذيذة ، فأرى أمامي طفلة جميلة تحبو . . تأسرني بحبها . . بحيويتها . . بنشاطها . . تبتسم لي . . تشدني بيديها الصغيرتين . . تحتضنني . . ثم تهتف . .

ماما . . وأشعر بدفء يحيطني . . فجأة تتيه أفكاري . . وأحس بأنني أموت أمنية بعد أمنية . . أسترجع في ذهني قصصا لنماذج من النساء . . أضع نفسي موضع واحدة منهن في محاولة جادة لأنقاذها من أحلام الأمومة . .

ـ انتزعت خطواتي . . استلقيت لأسلم جفني للنوم .

ـ شعرت وكأن أحاسيسي تبددت . . عواطفي تجمدت . . حملقت في قلق . . ترى هل يتحقق أملي ؟

لكنني خائفة . . خائفة .

ـ أرى الحنان في نظرتك . . أرى في عينيك حلما بأن يكون لك طفل .

ـ وتهدىء من روعي بمواساة تبعث في الأمل من جديد .

ـ وأحس بطمأنينة وراحة لم أشعر بهما لسنوات طويلة مضت .

ـ وأشعر بمسؤ وليتي تجاه سعادتك وسعادتي .

ـ يجب ألا أفر من الموقف . . ألا أخافه وأقاوم في أعماقي كل الأفكار القاتمة . . وتجتاحني رغبة في نسيان أحلام الأمومة والعيش بتفاؤ ل .

ـ لكنها أفكار لا تلبث أن تنتزعني وتجعلني أعيش وراء حلمي من جديد .

ـ وتكبر أمامي كلمة عاقر . .

ـ وتمتد أذرعة حروفها . . تعصرني . . أواجه نفسي . . أذوب في الكلمة .

ـ فأرى نفسي أنا الكلمة . . دعامتها . . وأهب مذعورة فأجد نفسي وحيدة .

ـ إنتهيت . . ظلام يملأ الغرفة بعنف كالنهار المزيف .

ـ قفزت الى زر النور . .

ـ أبصرت . . فاكتشفت أن الشمس قد غابت . .

وجاء صوته عميقا كأنه صادر من نفق :

أسدلت على وجهي إبتسامة باهتة .

ـ ماذا بك ؟

نسيت السؤال وتذكرت . . أريد أن أبعده عن عالمي القاتم .

أسدلت على وجهي إبتسامة باهتة .

كان يعرف الحقيقة . . .

وصارحني . . ولم أدر أي ضؤ أضاء الدنيا ساعتها . .

ـ لست عاقرا . .

تلاشت من مخيلتي صورة المرأة الأخرى . . لم يعد هناك مبرر لأن نفترق . .

يومها . . جلست . . ارتسمت على شفتي إبتسامة حقيقية ... نظرت إليه . . وكان البشر والسعادة الحقيقية يعلوان محياه .

جَنازة حبّي

انني نسيت . . نسيت أن تلك اللحظة يجب ان تكون لحظة حياتي . . مصيري . . مستقبلي . . واستسلمت ببرود شديد ليأس قاتل . .

كان كل همي أن أودعك . . أودع حجرتي الصغيرة . . أودع حيطانها وأثاثها . . كدت أكلمها . . أبثها حزني وتأثري . . ولكن حانت اللحظة التي كثيرا ما تفاديتها . . صارعت من أجل ألا تحدث . . وذهبت أنت وتشبثت بخيط من أمل ضعيف . . عدت إلى وقت مضى .

كان حلمي أن أعيش معك إلى الأبد في حياة الحب والسعادة والهناء . . كنت أتلهف على هذا الحلم وأتعجل تحقيقه . . لم يكن في يدي أن أصارحك وأقول لك أنني أحبك . . فالحب بصوت مسموع في مجتمعي عار وفضيحة . . ولكن عيني كانتا تقولان لك ذلك . . كنت أشعر نحوك بحب مقدس لا أستطيع

أن أبوح به . . وكنت أنت كذلك . . هكذا تقول لي عيناك .

لم أتصور انني سأشعر باليتم الحقيقي عندما أكون معك . . لم أكن أشعر بسوى الجنة والحب والحنان والصفاء والهدوء .

كنت أشعر بقلبي يطير ليستقر في عينيك السوداوين فيحكي لك قصة حبي . . كنت أشعر بأنك مرفئي .. ولم أعبأ بالسنين التي بيني وبينك . . أحببتك . . قلتها في صمت بيني وبين نفسي . . قلتها في حذر . . ويلي لو يعرفون انني أشعر . . انني أحلم . . انني أحب .

غابت الشمس . . سحب كثيرة خيمت على الجو . . لا أحب مثل هذا الطقس . . انه ينقلني الى عالم كله آلام وجراح وعذاب . ها هو الجو نفسه يعود . . السحب الكثيفة السوداء تذكرني بمأساتي . . حاولت أن أهرب . . ولكن . . شريطا ينقلني فجأة إلى عالم آخر . . ولعله أقسى وأصعب . . انه عذاب قلب يحترق .

الدنيا رهيبة . . العالم صغير . . صغير . . كل حياتي قد تحطمت مرة واحدة وضاع أملي في عالم كله ضياع .

غابت الشمس وانتظرتك .

وفجأة عيناي في عينيك تحكيان قصة حب ضاعت في خضم الصراع .

قلتها لي ذات مرة . . فارتسمتْ حروفها غائرة في قلبي .

لا بد أن أتزوج . . فأهلي يريدون لي أن أكون أبا . . أمي المريضة يجب أن أرضيها . . يجب أن تحتضن أطفالي وتتمتع برؤيتهم . . لا تكوني أنانية وتحتكريني لنفسك .

وذهلت . . فقد كان كلامك رهيبا قاسيا . . شعرت بدقات سريعة تتوالى على قلبي . . ها أنا مستلقية في سريري شاردة . . وقرارات خطيرة تتخذ خارج غرفتي . . إجتماع عائلي يقرر زواجك من إمرأة ثانية لتنجب لك البنين والبنات .

وتدخل . . لم أهب لأعانقك وأدفن وجهي في صدرك . . فتنفجر دموعي غزيرة ساخنة وكأنها تدافع عن قلب تحطم وأنوثة جرحت وحب ضاع . . ووقفت صامتا لم تفه بكلمة . . كنت تنظر إلي بشفقة وتعرف ما دفعني لذرف هذه الدموع .

وتطرق مفكرا تبحث عن كلمة تقولها . . كلمة تعزيني وتودع بها حياتنا الى الأبد . . ولم تجد ما تقوله سوى أنك كنت تتمنى ألا يحدث مثل هذا اليوم . . ولكن ؟

كنت أمامي شبحا لا أتبين ملامحـك فنسيت ان أقـول لك شيئا . . نسيت ان تلك اللحظة الحاسمة في حياة شاء قدري أن أكون ضحيتها . . نسيت أنها لحظة حياتي ومصيري . . يجب أن أقرر فيها شيئا . . واستسلمت لغيبوبة أنقذتني من ساعـة الفراق الرهيبة .

وتحرّرتُ مِن أوهَامِي



لـم تحس بلوعـة الفـراق ولـم تبـك هذه المرة كما كانـت تفعل . . إكتفت بابتسامة باهتة ودعته بها . . لأول مرة تشعر بقوة إرادتها وعزيمتها .

أما هو فقد حاول أن يبدو طبيعيا ولطيفا معها . . انه مسرور بالطبع . . سوف يقضي إجازة سعيدة ولا شك .

وبدأ الصراع يتسلل الى نفسها . . لقـد صحـا مبـكرا . . ليس من عاداته ان يفعل هذا إلا عندما يكون على سفر . . انه لم ينم ليلته . . كذلك هي لم تنم ليلتها . . ولكن شتان بين أحلامهـا وأحلامـه . . أحلامـه هنـاك في بلاد الصخـب والضجيج . . أحلامه عن برنامجه خلال هذه الرحلة . . كيف سيقضي الليلة الفلانية واليوم الفلاني .

أشياء وأشياء تذكرتها هذه اللحظة . . ولكن ما بالها تفكر ؟

لا . . انها تطرد كل هذه الأفكار وبشدة . . يكفيها ان ترى إبنتها بجانبها . . انها تشعر بسعادة الدنيا كلها . . والتفتت بحنو نحو صغيرتها لتراقبها وهي تلعب بدميتها . . وأرادت أن تكلمها وتلاعبها ولكنها تراجعت وآثرت ان تتركها مستغرقة في اللعب .

كانت تريد أن تشغل نفسها ووقتها حتى لا تفكر . . فتذكرت قول أحد الفلاسفة (أنا أفكر . . إذن فأنا موجود) .

شيء حتمي ان تفكر . . ولكن ليس بالضرورة أن ينحصر تفكيرها في أوهام وخيالات مجنونة تافهة . . آه لو تتخلص من الغيرة . . هذا المرض الذي لا تلبث الواحدة منا أن تنكوي بناره . . ولكن ليست كل إمرأة تغار مثل غيرتها . . فها هي صديقتها فوزية تراها تعيش بكبرياء الأنثى . . جميلة رشيقة مبتسمة مشرقة دائماً وكأن كل سعادة الدنيا تجمعت عندها . . بالرغم من أن زوجها لم يهتم بها كثيراً . . وتذكرت كيف سافر وتركها مريضة ليقضي عيد رأس السنة في الخارج .

إذن أغلب الرجال هكذا . . والفرق يكمن في تفكيرنا ونفسيتنا نحن النساء . نحن اللاتي نتصور من (الحبة قبة) . . نحن اللاتي نعيش بأنانية مطلقة ثم ننسى ونندب حظنا .

وأرادت أن تجرد تفكيرها من الأوهام . . جربت أن تعيش حرة التفكير نظيفة الذهن . . وأحست براحة وهدوء عجيبين . فانعكس ذلك إشراقا وبهجة وشبابا على محياها وأدركت لأول مرة أنها تعيش حياة مثلى . . والتفتت لترى نفسها وقد عاد لها رونقها وجمالها اللذان إفتقدتهما منذ سنين .

تجْرَبة لاتُنسى



ويمر به الوقت بطيئا بطيئا . . لم يبق على فرحته سوى ساعات معدودة ويتقرر مصيره . . ويتحقق حلمه . . ويتحدد مستقبله .

أخذ يتأمل . . يتأمل الهدية التي أعدها . . ليست ثمينة ولكنها رقيقة على أية حال .

هكذا حاور نفسه وسرح به خياله . . تصورها حورية تختال في هذا العش الجميل . . ستضفي عليه رونقا وبهجة . . سيحمل كل ركن من أركانه لمسات ناعمة من ذوقها . . لكم يحب النظام والذوق الجميل والترتيب .

ترى هل تحمل نفس أفكاره ؟ . . نفس ميوله ؟ . . هل تحب الأشياء التي يحبها ؟ . ربما . . قالها ونظر إلى ساعته . . هب واقفا واتجه صوب المرآة . . لا بد أن يعيد نظرة على هندامه . .

وأخذ يعدل من رباط عنقه .

وهو يعد الكلمات التي سيقولها لها . . تخيل وتخيل وسرح في عالم رومانسي . . نسي معه نفسه من جديد . . لم يوقظه منه إلا منبه السيارة التي سيتوجه بها وصديقه إلى حيث تتم مراسم الزفاف .

« مبروك . . ألف مبروك . . أهلا بالسلطان . . (نقزتها واللّه . . رد بالك . . حمر لها عيونك من الأول . . ما توريها سنونك من أول ليلة » .

كلام كثير قيل له . . . كل صديق يريد أن يتبرع بنصيحة وكلمة . . وتمنى ان يتطوع واحد منهم فقط بكلمة جميلة تليق بهذه المناسبة .

لماذا يتوقع الرجال السوء دائما ؟ لماذا يظنون بالنساء الظنون ؟ لماذا كل هذه النصائح التشاؤمية ؟ . . انه سيتصرف معها كحبيبة وشريكة وإنسانة . . انه يحبها ويقدرها . . وتبا لمثل هذه العقول المتجمدة المتحجرة . . سيضمها إلى صدره ويقول لها كلاما جميلا . . سيتمتع بليلة عمره . . وليذهب هؤلاء الى الجحيم .

ومرة أخرى يحس الوقت ثقيلا . . ثقيلا . . تمنى لو يتوجه

وحده ليأخذ عروسه ببساطة دون هذا الموكب وما يصاحبه من فوضى . . وعاد يفكر فيها ثانية .

لا بد وأنها تعيش نفس الموقف . . لا بد وأنها قد ضاقت ذرعا بسيل النصائح والإرشادات التي توجه إليها . . تمنت لو يمنحونها بضع دقائق لتنعم فيها بالهدوء بعد عذاب ثمانية أيام كاملة بنهارها وليلها .

صراع كبير كان يدور في داخلها ولا تستطيع أن تبوح بشيء منه . . عليها أن تنفذ الأوامر والنصائح وكفى . . فهي عروس وليس للعروس أن تعاند او تتدخل . . فالعيب كل العيب ان فعلت ذلك . . سينعتونها بالطيش والتهور . . وربما حتى بالجنون . . فالعقل والرصانة والأتزان في عرف التقاليد النسوية هو أن تظل صامتة . . ولا بأس من أن تتحفظ في إبتسماتها لتنال شرف الرصانة والخجل من أوصاف تطلقها عادة الأوساط النسوية على فتيات الحي . .

« ردي بالك من أمه . . راه باين عليها حرفة صرفة . . كل حاجة يعملوها لك أهله قوليها له . . ما تدسي حتى شيء عليه . . ردي بالك . . ترضي بالقعاد معاهم ديمة ديمة » .

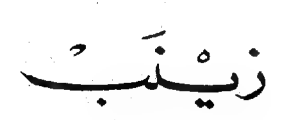
سيل من النصائح كلها تحذير ورهبة من أهله .

كانت تحس بنفس شعوره . .

وتعالت ضحكاتهما عندما جلسا يتحادثان عن ذكريات الزفاف وما صاحبها من تقاليد وعادات .

. . وأخذا يتضاحكان وهما ينظران إلى طفلتهما الجميلة . . ترى . . هل ستمر بنفس التجربة . . هل يرضيان لها أن تلقى نفس المعاملة ؟

انطلق الإثنان في لحظة واحدة . . لا . . لا . .


زينب



يا لها من لحظة تلك التي يعود فيها بنفسه الى الوراء قليلا . . إنها اللحظة النادرة من لحظات السعادة والتحسر العميق الذي ينتابه .

رباه . . لماذا جعلتني مغمض العينين كل تلك الأعوام . . لماذا طويت قلبي كل تلك السنين فلم أستمتع بجمالها مثلما أستمتع به الآن وأنا أسترجعها في مخيلتي . . لماذا لم أستمتع بذلك الطهر والصفاء مثلما أحس به الآن . . من حال بيني وبينها يا ترى ؟! آه . . ليتني لم أتذكر كل تلك السنين . . ليتني لم أتذكر ما عانته مني . . من قسوتي . . من سوء معاملتي . . من غروري . . من أنانيتي . . ومن خيانتي .

انها ملاك بذلك الفستان الأبيض الناصع والضفيرتين اللتين

تتدليان بعفوية على كتفيها . . أما عيناها المكحولتان الدعوجتان فهما جذابتان . . انها ملاك وكفى . . ترى . . هل تتذكرني هي الأخرى . . أم أنني خرجت من حياتها الى الأبد .

في لحظة صفاء وطهر غاب عنه فيما قدمه أيام دنياه . . مشاعر مليئة بالصفاء والعفة من لحظات عمره الممرغ في الوحل . . آه لو تعود به السنون الى الوراء ليكفر ويكفر . . آه لو يستطيع أن يقدم شيئا لذلك الملاك الذي ضيعه .

لم يكن يدرك شيئا عن الزواج ومسؤ ولياته . . كانت أحلامه مجرد أطياف وخيالات مراهق بعيدة عن الواقعية . . كل ما كان يتمناه من شريكة حياته . . جمال كالذي يشاهده في الأفلام والمجلات الفنية . . انه لم يضع في زوجة المستقبل مواصفات جادة بعد .

في لحظة كالحلم تم كل شيء عندما رجع إلى قريته في يوم عطلة أسبوعية . . أخبروه بأن مراسم الخطبة قد تمت وعليه أن يستعد لحفل زفافه . . وقتها لم يفرح ولم يحزن . . أحس كأنه في حلم . . وكفى . .

وتم زواجه بالطريقة التقليدية . أمه اختارتها شكلا ووالده

وافق موضوعا . . وتزوجها هو واقعا .

لم تمر السنة الأولى من زواجه حتى أحس بالملل . . أراد أن يدفنه في السفر . . فسافر مرة ومرتين . . وتلتها مرات . . وأصبح كل همه هو توفير المال اللازم لرحلاته (الممتعة) . . وكانت هي صابرة . . وان أبدت عتابا بهدوء وأنوثة وود في كثير من الأحيان . . غير أنه لم يكن ليكترث بها .

كان جوابه دائما : انني لم أخترك زوجة لي . . لقد أتوا بك إلى هنا دون إرادتي .

كم من دمع ذرفته . . وكم من شقاء ومذلة عانتها منه . . كان غارقا حتى أذنيه في ملذاته . . وفي غمرة ما كان يحس به من متعة السفر والترحال طلقها ثلاثا ..

واليوم بعد مرور عام على خروجها من هذا البيت ما الذي فكره بها . . ما الذي أرجعه الى ماض كان يمثل فيه سلطة الدكتاتور المستبد على مخلوقة مسكينة كل ذنبها أنها اختيرت له .

رجعت به الذاكرة مرة ثانية لزينب بصورتها الملائكية عبر كل تلك الوجوه التي مرت بعدها .

وَغفرتُ لكْ

أتاها صوته متهدجا وهـو يقـول . . لقـد قررت أن أبنـي حياتي من جديد . . وقررت ألا تدخل حياتي إمرأة غيرك . . انني أحبك . . أنا مجنون بك . . لكم أنـا مفتقـدك . . انهـا غلطة ، أعترف بأنها غلطة وسوف لن تتكرر . . نزوة دفعـت ثمنها ثقة غالية كنت أعتز بها . . نزوة طائشة عذبتنـي حتـى طهرتني من ذنوبي . . كل ذنوبي .

لم تر تلك اللحظة من حياتها كغيرها من اللحظات ، لم تشعر بالملل والسأم . لم تشعر بالضيق من كلماته كما كانـت تحس من قبل . . فقد أدركت أنها كانت تمر بحالة غير طبيعية .

وبـدأت تتراجـع . . بدأت تفـكر من جديد . . وتعيد كلماتـه . . « أنـا مجنـون بك . . غلطـة . . نزوة عابـرة لن تتكرر » .

وأحست بهاتف يدعوها للصفح والغفران . .

ويعـود الـضـجيج إلى أعـمـاقهـا فيذكرهـا بالمـأسـاة . . فتثـور . . لا . . لن أغفر له . . أنه لا يستحـق حـبي . . لقد حطم قلبي وجرح أنوثتي ولا بد أن أعيد لنفسي إعتبارهـا . . صور قاتمة تتراءى لها . . ويبلغ إنفعالها ذروته . . وتتمنـى لو تخلو الى نفسها . . تحس باعياء وبرغبة في البكاء . . ولكن . . كرامتها وكبرياءهـا يلحـان عليهـا بضرورة التمسـك بمـوقف معين . . فالبكاء علامة من علامات الضعف والإستسلام . . ولماذا تبكي . . لماذا تذرف دموعها غالية في سبيلـه . . انـه لا يستحقها . . لا بد أن تشعر بكرامتها وأنثوتها . . لا بد أن تثأر لجمالها . . فلتتركه يتعذب ما شاء له العذاب . .

ويزداد لهفة وإلحاحا . . وتزداد هي صدا . . فليست خيانته لها بالأمر السهل .

ويدور حوار بينها وبين نفسها . . أمنحه فرصة . . فلكل إنسان عثرة . . واللّه يغفر للبشر أخطاءهم . . وأنـت لماذا لا تكونين مؤمنة ؟

هاتف قوي يدعوها للصفح والغفران . . ولكنها خائفة . . خائفة . . لا تستطيع أن تصدقـه . . وتنظـر في عينيه وكأنهـا

تبحث فيهما عن صدق . . وتحس بطمأنينة وراحـة لم تشعـر بهما منذ مدة . . فيبدو لها صادقا شهما وسيما رجولي القسمات .

وتتلاقى أعينهما في نظرات تحمل لكليهما علامـات الحـب والرضى . . وتدرك أيضا انها تحبه . . فتقرر ان تطوي صفحة الماضي لتعيش من جديد بأمل جديد وحب جديد .

مقَارنَة صَعْبَة

إستغرقت جل ليلتها في تفكير مستمر . . نظراتها حائرة . . عقلها مشغول . . صور متلاحقة تتـوالى أمامهـا واحـدة بعـد الأخرى . . يا إلهي . . لا . . لا يمكن أن يحدث هذا . . لا أصدق . . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . . بسم الله الرحمن الرحيم . . وأخذت تلتجىء إلى الله بقـراءة سور مبـاركة من آياته . . وتارة إلى تبريرات تحاول قدر جهدها أن تجعلهـا من المنطقية أقرب منها إلى الأنانية والطيش والتهور . . وكانت بين الحين والآخر تعود بخيالاتها إلى شريط رائع من الذكريات علها تنسيها ما هي عليه الآن . . إنها تسترجع عباراتـه . . كلماتـه لها . . كلمة كلمة . . ومع كل كلمة كانت لها وقفة تأمل تشعر على أثره بألم ومرارة وعذاب . . تذكرت كيف كان يقول لهـا أنت جنتي . . أنت نعيمي . . لقد أحبني الله فوهبني زوجة صالحة هي أنت ، كل شيء متوفر فيك . . أحبك ما حييت . .

فهذا أقولـه يا شريكة عمـري . . لا أخونـك ولا أرى إمـرأة سواك .

كلام كثير من هذا النـوع . . كلمات تحمـل شحنـات من الحب والصدق والوفاء . . ولكن أين هذا الحب الآن ؟ . أين هذا الوفاء ؟ . لقد تراجع في حبـه . . تراجـع في كلماتـه . . تراجع في وفائه . . فخلت مع تصورها لحظات تحاسب وتقوم بجرد نفسي مع ذاتهـا . . تحاسـب نفسهـا طيلـة مدة زواجـه بها . . ومرة ثانية عادت بها الذكريات . . كانت تحبه . . ولا زالت تحبه . . ولهذا فهي تحس بلذة العذاب . . كانت تعتبره كل شيء بالنسبة لها . . كانت تقول له في ساعاتها الهامسة . . لا أتصور أبدا أن يخون الرجل المحب زوجته . . كيف يسمح له ضمـيره أن يعيش حياتـين . . ان يعيش شخصيتـين . . فالرجولة شهامة . . والرجولة صدق . . والرجولة شجاعة . . والرجولة قوة شخصية . . والرجولة وفاء ومحبـة . . والرجولـة إيمان وخوف اللّه . .

وتذكرت كيف كان يضمهـا إلى صدره ويقـول لهـا كلامـا كثيرا . . كلاما كله محبـة وطمأنينـة . . كلـه مستقبـل مشرق كامتداد لاستمرارية الحياة التي يعيشانها وكيف كانـت تتطلـع إليه بمحبـة ودلال قائلـة : « أحمـد . . رد بالك في يوم من

الأيام . . واللّه يا أحمد ديمة ندعي لربي ما يوريني ها الهـم . نفضل نموت ولا نسمع ولا نشوف مثل ما نسمع فيه على رجالة اليوم » . . إلا أن دمعة ساخنة إنحدرت على خدها نبهتها إلى واقعها . . دمعة الهادىء الرصـين . . دمعـة تعبـر عن الألـم والعـذاب القـاسي الصامـت مرة ثانية الى اللّـه تقـرأ القـرآن الكريم . . ثم استلقت على سريرها في إرتخاء شعـرت أثنـاءه بطمأنينة رائعة .

کبْریَاء

قضت طيلة يومها في عمل شاق من غسل ملابس وتنظيف البيت بكل حجراته وأثاثه ، وكانت مشرقة الوجه ضاحكة الثغر . . تمنى نفسها بكلمة حب ولمسة حنان ونظرة تقدير بعد هذا اليوم المشحون بالعمل والتعب . . وبينما هي على نهاية عملية التنظيف الشامل هذه ، إذا بعمتها (أم زوجها) تنادي . . فأجابتها فاطمة :

- لحظة يا عمتي . . بس نكمل اللي في ايدي .

- إسم الله على اللي ما عنداش صحة يا كبدي !؟

وبمجرد أن انتهت فاطمة من عملها اتجهت الى حجرة عمتها . . فوجدتها نائمة ، أو هكذا تظاهرت ، فأخذت في إيقاظها . . ثم سألتها عما تريد . . فأجابتها بلغة لا تخلو من عدم الرضا :

ـ قبل نبي شريبة . . لكن اسـم اللّـه على اللي ما عنـداش صحة . .

ـ المية في جنبك يا عمتي . . لكن حاضر توة نجيبلك . .

ـ لا . . لا واللّه ماني ضايقتها . . عطشت ورويت .

ـ يا عمتي أنا ما نقصدش حاجة . . وبعدين قداش عطلت عليك ؟ حتى نا بشر .

دخل أحمد حاملا بيده جريدة وباليد الأخرى سيجارة .

ـ خيركم ؟ . . فيه حاجة ؟

ـ لا مفيش شيء يا أحمد . . بس نحكي أنا وعمتي . .

باهي . . جيبي دير لنا الشاهي . .

ذهبت فاطمة لتأتـي بالمعـدات . . بينما أخـذت أم أحمـد في إرسال الآهات التي تدل على الضيق والقلق مما استلفـت نظـر إبنها إليها . .

ـ خيرك يا حنّى . . حتى حاجة ؟

ـ يا وليدي . . لي زي نا . . الموت خير له .

ـ فيه حاجة مزعلاتك ؟ . غير قوليلي . .

ـ السكات خير . .

دخلت فاطمة بجزء من معدات الشاي فصوب إليها أحمد نظرات دهشت لها . . وحارت . . لماذا هو ينظر إليها هكذا . . غير أنها فهمت ما تعنيه هذه النظرة بعد هنيهة من جلوسها معهما . . إذ خاطبها بلهجة غاية في القسوة والشدة .

ـ إسمعي انت . انا قلت لك من أول يوم . اللي ما يساعدش أمي ما يلزمنيش . . وأظن آخر مرة نكلمك في هذا الخصوص . . أي شكوى أخرى ما نكلمكش كلام . . حوايجك وبيت أهلك .

ـ إيش فيه يا أحمد ؟ . . ليش الكلام هذا كله . . أنا مش خدامة عندكم . . أنا إنسانة عندي إحساس وشعور . . لكن عندك الحق . . ما عنديش أهل . . اللّه غالب . . هذا حال اليتيم . . هذا هو العطف والتقدير اللي تبي نلقاه منكم . . من الصبح وأنا نخدم . . ما فيش من يعطف علي ويرحمني . . مش بالعمل لكن بالكلمة الحلوة الطيبة التي تشعرني انكم تحبوني وتعطفوا علي . . لا خلاص أنا مش قاعدة عندكم بالنهار حتى تحوزني وتشرط علي .

وذهل أحمد لثورة فاطمة هذه . . لقد كانت ثورة صادرة من

إنسانة مظلومة . . كانت ثورة مصحوبة بدموع غزيرة حرى . . فرق قلبه لها بينما تظاهر بالغضب ليرضي أمه التي أحست بأنها قوية الجانب وقوة لا تقهر . . واستمرت فاطمة في بكائها الذي تطور الى تشنجات هستيرية . . واتجه أحمد إليها بكل عواطفه غير أنه لم يستطع أن ينطق كلمة فآثر الصمت بينما استمرت أمه في توجيه اللوم لزوجات اليوم المدللات اللاتي يعتقدن أن حواء لم تنجب إلا أصنافهن . . و . . وكانت فاطمة في شبه غيبوبة . . وعندما استمرت أم أحمد التي لم تنتبه إلى ما عليه فاطمة . . رجاها أحمد أن تسكت . . عندها أحست بأن أحمد قد انحاز لزوجته وانه برجائه هذا سيشجع فاطمة على عدم إحترامها . . فقالت :

ـ عند الحق يا وليدي . . نسكت ونزيد في السكات . . أنا يا ولدي ما تكلمتش . . وصلني لأختي . . واللّه ما عاد قاعدة فيه . . كله دلال وعينوني . . أنا هي اللي . . .

ـ يا حنى عيب عليك . . أظن بعد هذا كله الواحد ما يلحقلكش على غرض . . تبيني نطلقها . . حاضر . . غير تفيق وتوه نفضوها . بس حاجة واحدة نبى نشرطها عليك أنى لا يمكن نردها ولا يمكن نتزوج مرة أخرى .

ـ لا تطلقها ولا سو . . أنا هي اللي نمشي .

وازدادت حالة فاطمة وغابت تماما عن وعيها ، فاتجه أحمد إليها وأخذ يوقظها .

ـ فاطمة . . فاطمة . . فيقي يا فاطمة . . أحمد يكلم فيك . . إشربي شوية اميه . . ما تخافيش ما فيش حاجة بس حاولي تشربي شوية اميه . .

حملها إلى سريرها وجلس بجانبها يحاول أن يرجعها الى حالتها الطبيعية بالعطر تارة وبالماء تارة أخرى . . إلى أن بدأت تفيق رويدا رويدا . . وعندها تنفس الصعداء .

إتجه إلى غرفة والدته فوجدها هي الأخرى في حالة بكاء شديد . . جلس بجانبها يحاول أن يهدىء من روعها قائلا :

ـ ياسر من البكاء يا حنى . . الشيطان . . اللّه يلعنه جي بينكم في العشية . . أنا غير خفت توحلوا فيها . . توه غير تفيق وتنتلف علينا .

وكانت هذه الكلمة بمثابة منديل مسح لها دموعها . . وهنا أحس أحمد أنه قد أرضى كبرياء أمه . . ولكن بقي له شق آخر . . كيف يرضي زوجته ؟؟ وظل يحوم ويلف في محاولة

للتوفيق بين الإثنين ، وجدها عملية صعبة ، ربما تزيد من تعقيد الأمور . . واتجه حيث تنام زوجته فوجدها شاحبة حزينة . . انه لأول مرة يرى اليتم على وجه فاطمة . . فأحس بعطف ماله مثيل نحوها . . وظل يصارع كبرياءه ليعتذر لها . . لا . . انه رجل . . والرجل يجب أن يبقى قويا صلبا . . لا يلين أبدا حتى وان كان هو المخطىء . . يجب ان يخلد إلى الصمت ليوحي إليها بأنها هي المخطئة فتعتذر له . .

وفي لحظة الصراع هذه خطرت له فكرة . . وهي أن يخرج ويترك البيت . . وكيف ما تجي تجي . .

ارتدى ملابسه وخرج . . وأحس بالضيق والملل . . أين يذهب . . المطر يتساقط بغزارة . . الجو شديد البرودة . . فأخذ يستعرض أسماء أصدقائه ليذهب لأحدهم . . ولكن . . ولكن لماذا يحمل صديقه هذا مشاكله ؟ . يجب أن يحملها هو بنفسه . . انه رجل . . نعم انه رجل بمعنى الكلمة .

وفي إنفعال وعصبية بدأت لفافات التبغ تحترق بين شفتيه . . وبعد برهة من التفكير قرر أن يعود إلى بيته .

لم ينتبه وهو في عودته إلى إشارة المرور ولا لصفارة شرطي المرور التي كانت تنبهه إلى خطأ كاد يذهب ضحيته طفل بريء .

وفتح باب الشقة فوجد الصمت يلف البيت . . ودخل على أمه ـ كانت تصلي ـ فوجدها فرصة ليذهب إلى زوجته التي كانت منهمكة في قراءة قصة عاطفية . . وأراد أن يقترب منها ويعتذر لها . . غير أنه تذكر في آخر لحظة كبرياءه كرجل . . نعم انه رجل . . لا . . فليدعها هي التي تعتذر له . . وأخذ يذرع الحجرة جيئة وذهابا ليثير إهتمامها . . غير أنها كانت متظاهرة بالقراءة . . انها هي الأخرى تريد أن تشعره أنها تستطيع أن تنفرد بنفسها . . بذاتها . .

خرج من الحجرة واتجه إلى الصالون وأخذ يحرق السجائر واحدة تلو الأخرى . . وذهبت هي الى عمتها لتعتذر لها . . فوجدها فرصة أنقذت كبرياءه الموهوم . . فنادى عليها واحتواها بين ذراعيه وأمطرها كلاما عاطفيا لم يسمعها مثله من قبل .

كَلِمَة شَرَف

أحاطها القدر بكل ما تحلم به حواء من علم . . وأخلاق . . وجمال . . وجاذبية . . وزوج مثـالي كثـيراً ما كانـت زميلاتهـا يغبطنها عليه . فقد كان يتمتع هو الآخر بثقافة راقية ، وأخلاق عالية ومركز محترم . . وكانت إلى وقت قريب تعتبر أن بينها من أسعد البيوت ، وأن زوجها من أوفى وأخلص الأزواج .

أنها ما زالت تتذكر تلك الأمسية من أمسيات رمضان ، عندما أخبرها أحمد بأنه وجد عملاً اضافياً كمترجم باحدى السركات ، واعتبرتها فرصة طيبة لتأمين وتحسين مستقبلة ومستقبلها ، ومضى شهر وتلته شهور وأحمد منهمك في عمله الصباحي والمسائي . . وبدأ الفراغ والملل يزحفان إلى حياتها شيئاً فشيئـاً . . كثـيراً ما تشكو لزوجهـا عذاب الملل . . ومـع شكواهـا زادت ساعـات غيابه . . فهو دائماً مشغول . . دائماً مدعو لحفلات استقبال أو

توديع علاوة على عمله الصباحي والمسائـي . . وأكثـر من بذل الليل وكانت تتألم في صمت . . إلى أن كان ذلك اليوم الـذي صدمت فيه . . لقد كانت تلتمس لغيابـه الأعـذار في محاولـة لاقناع نفسها بضرورة مراعاة ظروف عمله . . أما الآن فقـد رأتـه بعينيهـا ولا داعـي للانـكار أو المحـاورة . . يجـب أن تواجهـه . . يجب أن تدافـع عن انوثتهـا المجروحـة . . عن كرامتها المهانة (وهَـوَى شريط عودتـه في ذلك اليوم ، وكيف كانـت تعـابير وجهــه وتصرفاتــه غــير الارادية ما ينــم عن الحقيقة) . . فقد تحاشى النظر إليها خشية أن تشي به عيناه . . وانفرد بنفسه في تظاهر كاذب بالقراءة .

أما هي فقد تملكتها رجفة وأصابها ذهول ، وفوجئت بقلبها يدق بعنف ، ولم تدر بنفسها إلاّ وهي أمامه تواجهه بما رأت . . بأسلـوب لا تدري هي نفسهـا كيف أتـت به . . ولـم يحـاول الانكار ، بل حاول تبرير موقفه بعدة حجج واعتبارات واهية ، لم تعفه من تحمل مسئولية خطئة تجاه انسانة مخلصة كانت حلمه وأمله الوحيد في يوم من الأيام . . لقد تنكر لها ، وتصرف بطيش وكانت نزوة ، وتلتها نزوات .

وتغيرت حياتها . . تغير العش الهادىء الحالم الجميل ، إلى بيت أشبه بالقبر . . صمت في جميع الأوقـات . . حياة روتينية

مملة . . أين منها تلك الأيام التي مرت سراعاً . . أواه ما أقسى القدر . . ولكن . . أيجب أن تعتبر ما حدث لحياتها قضاء وقدراً ؟

وأمام اشارة الاستفهام الحائرة هذه ، شردت فاطمة بخواطرها بعيداً . . بعيداً . . تستعرض حياتها الماضية ، وكأنها تشاهد شريطاً سينمائياً . . أما أحمد فقد كان جالساً في صمت ، يرنو إلى دخان سيجارته وهو يتصاعد حتى يتغيب عن ناظريه ، كان هو أيضاً شارداً ، يفكر كيف تحولت حياته الماضية إلى مثل ما هي عليه الآن . . ليتها تغفر له . . ليتها تعيد ثقتها فيه ، ليتها تقتنع أن ما ارتكبه مجرد نزوة طارئة . . ليتها تمنحه الفرصة ليثبت لها أنه ما زال يحمل تلك المبادىء والمثاليات التي كثيراً ما كانت فخورة بها . . وكان كلما حول نظره إليها زاد شعوره بفداحة خطئة وعمله وندمه .

كان يقارن بينها وبين تلك الرخيصة التي استطاعت أن تتسرب إلى حياته من باب الشيطان في لحظة ضعف مجنونة .

كيف استطاعت هذه الرقطاء أن تغريه ليذوق الخمر ، ويشربه كئوساً . . كيف استطاعت هذه اللعينة أن تصرفه عن مبادئه ومثالياته . . عن بيته وزوجته الطاهرة الشريفة البريئة . .

كيف . . كيف وكيف استطاعت أن تحطم له تلك المثاليات والمبادىء العالية التي التزم بها طوال سنين حياته الماضية . . وشعر بكراهية لا حدود لها تجاه تلك اللعوب وصمم أن يتخذ موقفاً ما لينقذ به نفسه من هذا العذاب ويطهرها من فداحة الاثم الذي اقترفه . . وكان لا بدّ له أولاً أن يدعم ما تهتك من ترابط في حياته الأسرية ، فرنا بنظره مرة أخرى إلى فاطمة التي كانت ما زالت شاردة مع الذكريات . .

نظر اليها برهة ثم جمع كل حبة وصدق مشاعره في اعادة ترميم الشرخ الذي أصاب هذا الحب . . فقال بحنان :

ـ فاطمة . . ممكن نكلمك وتصدقيني .

نظرت فاطمة بشرود وآثرت الصمت .

نهض وجلس قريباً منها ثم احتواها باحدى ذراعيه وهو يقول :

ـ فاطمة . . أنا نحبك صدقيني . . اغفري لي . . الله يغفر وأنت ما تغفريش ؟ . عيب عليك يا فاطمة . . والله تعذبت ما فيه الكفاية . أنا عارف أني أخطأت . . لكن غير اعطيني الفرصة . . ليش ما نتصافوش ونكسر الجليد اللي بيننا . . ليش ما نستغلش جو رمضان الروحي العظيم ونرجع لحياتنا

الماضية . . حياة الحب والشرف والوفاء . . طبعاً الشرف والوفاء من جانبي أنا . . لأنك أنت أشرف وأقدس زوجة . . والمسامح كريم يا فاطمة والاعتراف بالخطأ فضيلة .

وكاد يبكي . . ونفذت هذه العبارات في أعماقها ، فقالت له :

ـ توعدني يا أحمد أنك ترجع أحمد الأول . . احتواها بين ذراعيه .

ـ كلمة شرف يا فاطمة مني . . وعهد شرف أني رجعت . . رجعت أحمد المثالي إلى حبيبته .

عَدَالَةُ السَّمَاء

أخذ يذرع ممر المستشفى جيئة وذهاباً ومنظره يدل على أعصابه المشدودة . . أخذت الممرضة والطبيب يقنعانه بأن المسألة في غاية البساطة ، كل شيء طبيعي ، لظنهم أنه لهف على زوجته التي تعاني من آلام الوضع . . غير أنـه لم يعنـه ما تعـانيه . . أنـه مشدود إلى الخبر الذي سيأتيه . . الخبر الذي إما أن يسره وإما أن يصفعه . . ماذا لو . .

وبينما هو على حالته هذه ، فوجىء بالممرضة تقول له مبروك (بنت) دهشت لما ارتسم عليه من ألم ومـرارة . . ما بال هذا الرجل ؟ . . على أية حال لم يضرها أن ابتهـج أو غضـب . . وتركته ، أما هو فبقي في مكانه برهة ثم أسرع وركب سيارته دون أن يرى زوجته .

مضت ساعات كانت فاطمة خلالها قلقة حزينة ، لقد كانت

تشاهد الأزواج فرحين مستبشرين يغمرون زوجاتهم بالحب والحنان والهدايا . . أما هي . . اليتيمة التي في حاجة إلى مثل هذا الحب وهذا الحنان يشاء القدر أن تحرم منه في طفولتها وفي شبابها . .

ومضى يومان وفاطمة على هذه الحالة القلقة المتوترة وأخذت الهواجس تعصف بها . . وكانت بين الحين والآخر تنتحل له الأعذار لتقنع نفسها وتنتشلها من حالة الألم الذي تعانيه .

وفي اليوم الثالث قررت أن تطمئن عليه ، فطلبت من الممرضة أن تسأل عنه في الشركة التي يشتغل فيها . . بعد برهة جاءتها لتقول لها أنها قد كلمت أحمد . . وأنه سيأتي بعد قليل . . وجاء أحمد مقطب الجبين حاد النظرات ، وأرادت فاطمة أن تبصره قبل أن تعاتبه . . غير أنه صدها بجملة فظة قاسية .

خرج وتركها لعذابها وحيرتها . . وبعد قليل فحصها الطبيب وقرر خروجها من المستشفى . . فأخبرتهم أنها ستنتظر زوجها . . ومضى يومان وأحمد لم يأت ولم يحاول الاتصال بها . . فتحاملت على نفسها ، ودثرت المولودة واحتضنتها وخرجت تبغي بيتها . . ومما زاد حيرتها ومرارتها أنها لم تكن

تملك مالاً تستأجر به سيارة أو عربة لتوصلها إلى بيتها ، فانتظرت أمام المستشفى وتحت قطرات المطر وقسوة البرد جاءت السيارة العامة حيث ركبت فيها .

كانت الساعة تقارب الثالثة مساء عندما وصلت فاطمة إلى بيتها . . مكثت وقتاً طويلاً وهي تطرق باب المنزل دون أن يفتح لها . . فقررت أن تذهب إلى بيت شقيقتها الذي هو ليس ببعيد عن بيتها . . وهنالك علمت بكل الذي حدث . . علمت بأن أحمد قرر طلاقها بعد أن أنجبت له الأبنة الثالثة وأنه عازم على خطبة فتاة أخرى كان قد تعرف عليها أثناء زيارته لبلد عربي .

هكذا عاشت فاطمة في بيت شقيقتها . . ترعى بناتها وتغدق عليهن من حنانها ما يعوضهن حرمانهن من رعاية الأب وحنانه . . ومرت السنون . . سنة تلو الأخرى . . دخلت فاطمة مدرسة للتفصيل والخياطة حيث نالت شهادة أهلتها لأن تعمل مدرسة للأشغال اليدوية فيما بعد . . وأخلصت لمهنتها ، ومنحت بيتاً من الدولة انتقلت اليه وبناتها الثلاث اللاتي قاربت كبراهن على نيل الشهادة الاعدادية .

أما أحمد فقد تزوج . . وشاء القدر إلاّ أن تنجب له زوجته الثانية بنتاً وثانية وثالثة .

وعاش سنين حياته يتجرع كأس الندم ويقارن بين حياته مع فاطمة وحياته مع هذه الزوجة التي أفقدته كل معنى السعادة والحب والوفاء . . ومما زاد من قسوة أو عدالة القدر أنه اكتشفها تخونه مع أعز أصدقائه . . وعلى أثر هذه الصدمة أصيب بمرض مزمن منعه من العمل . . وكانت فاطمة تسمع بأخباره فتتألم كانسانة رقيقة يعز عليها أن يتعذب كائن على هذه الأرض ، وخاصة أحمد والد بناتها ، ولكنها عدالة السماء . . والله يمهل ولا يهمل .

الرّسالة

أحست فاطمة بتعب شديد بعد أن انتهت من عمل البيت فجلست على أقرب كرسي « آه . . عييت ومليت . . خدمة الحوش ما تكملش . . اسم الله ما فيش حتى من يعاون في حويجة . كلهم تعلموا بالشهرية . . ما عاد شيء يملأ عينهم . . يا ودي يا ريته يشرينا ما كينة صابون حتى تساعدنا . . والله غسيل الصابون كل يوم هدلي صحتي » .

فجأة رن جرس الباب رنة طويلة فنهضت بصعوبة لأنها حامل وفي شهرها الأخير . . سمعت صوتاً يقول (بوسطى) فانتظرته ليصعد ، ولكنه قال من أسفل :

ـ أهو الجواب تعالوا خدوه . . أنا مش مستعد نركب ستين درجة يوم بعد يوم . . علاش ماتديروش صندوق في السقيفة زي الناس ؟ . . وتركه وخرج .

نزلت فاطمة لتأخذه . . وأخذت تقلب فيه من الأمام إلى الخلف وبالعكس « اشبح منين . . آه يفوح » .

أحست بانفعال شديد وقلق وتوتر بعد أن صدرت تلك الرائحة الفواحة العطرة من الرسالة . .

وجاء أحمد ، كان مقطب الجبين . . فنسيت نفسها ونسيت القلق والضيق الذي غمرها قبل حين وقالت له :

ـ خيرك متغشش يا أحمد . . شنو . . فيه حاجة ؟

ـ يا مسكينة . . لخدمة والحسابات . . والواحد يحس لين قريب مخه يطير . .

ـ الله يساعدك يا أحمد . .

وانتهزتها فرصة لكي تعرض عليه مشكلتها هي الأخرى فيحس بها ويعطف عليها . . فقالت :

ـ والله يا أحمد حتى أنا اليوم تعبت يا ودي . . إن شاء الله ربي يرزقك وتشترينا ماكينة صابون .

ـ باهي يا منعاش .

ـ خطرها . . اليوم جاتك رسالة . .

ـ منين ؟ . .

ـ والله ما ندري عليها منين . . مكتوبة بالطلياني .

وناولته الرسالة . . وبمجرد أن صدر منها ذلك العطر المميز عنده عرف مصدرها . . ففضها . . وبعد أن قرأها كاد أن يقبلها لولا وجود فاطمة أمامه . . لقد كتم فرحته وسروره خوفاً من اثارة شكوك حوله . . وطواها مثلما كانت وقام فوضعها في جيب سترته الداخلي . . أنها شيء ثمين عنده . . رسالة من ماريا . . احدى غواني روما . . شيء يعتز به . . أنه سيعرض هذه الرسالة على أصدقائه وهو فخور . . ألم تقل له أنها تحبه ؟ . وإنها تنتظر قدومه بفارغ الصبر . . يا سلام إنها تعد الشهور والأيام بالساعات والدقائق . . كلام معاد مكرر قيل لألف من أمثاله . . ولكنه صدقه مما جعله يحس بهذه النشوة وهذه السعادة . . وقطعت عليه خياله حينما سألته ببراءة ظاهرة وبقصد باطن :

ـ منين الرسالة يا أحمد ؟

ـ لا . . هذي من الشركة اللي تتعامل معاها . . قالوا يا ستي لا بدّ تحضر بنفسك وتتفاوض مع المدير العام بخصوص الصفقة الجديدة . . والله مش عارف كيف ندير . . الشغل ما نقدرش

نخليه . . وفي نفس الوقت الصفقة هذي صفقة رابحة . . نحاول على العموم كيف ندبر ونمشي حتى يومين ولا ثلاثة . .

وأحست فاطمة بحالة الانفعال التي سيطرت عليها عندما تسلمت الرسالة تعاودها من جديد ، فقالت له بلغة كاد يفهمها :

ـ يعنى نجهز لك الشنطة . .

اشتم من كلامها أنها شكت في الأمر . . فأراد أن يحبك مناسبة السفر حتى يبعد عنها الشك ، فرد دون أن يرفع اليها بصره :

ـ مش قلت لك ما زلت نفكر ؟ . نحاول نتصل بيهم بالتليفون . . وإذا ما لقيتش مفر من السفر ، نمشي يومين وإلا ثلاثة وأمري لله . .

كان أحمد ينتظر في الساعة الرابعة بكل الشوق ليلتقى بشلة أصدقائه وليطرح الرسالة أمامهم ، وليقترح عليهم أن يسافروا شلة واحدة لتزيد رحلته متعة وسعادة .

وفي المقهى كان هو الوحيد الجالس . . إذ أنه بكّر بالخروج . . وما هي إلاّ هنيهات حتى أخذ رفاقه في المجيء

الواحد تلو الآخر ، وكان يقابل كلاً منهم بعبارة « عنـدي لكم مفاجأة » . . وبعد أن اكتمـل عددهـم أخـرج أحمـد الرسالـة ووضعها أمامهم قائلاً :

ـ قبل لا تفتحوها شموا هالريحة الطيبة . .

وقهقهـوا في عباطـة ، وأخـذوا يعلقـون بتلك التعليقـات السمجة المريضة . .

سافر أحمد . .

جال في رأسه ما جال من خفي الفكر وهـو صامـت وكأنـه يسمع حديثاً قديماً دار بينه وبين زوجتـه . . ماذا يقـول لهـا لو علمت . . ترى هل أنجبت بنتاً أم ولداً ؟؟

وشقت عليه صمته تلك المغرية التـي تأنـق الكلـم فسماهـا فنانة ، وخرجا في جولة خارج المدينة ، ولم يكن في حسبانه أنها نهايته الأبدية التي عجلت بها رسالة .

مَغلوبَة عَلى أمرِهَا

ظلت طيلة يومها متعبة بعد أربعة أيام قضتها في ارهاق نتيجة لاتيكيت أيام القفة والحنة والنجمة* . . لقد أرهقوها بشكل لا يتصوره العقل . . يكفي الليلة السابقة التي قضتها إلى ساعات الصباح الأولى وهي ملفوفة في رداء الحصيرة ، لا يظهر منها شيء ، حتى وجهها غطوه لها بقطعة سميكة من القماش . . حتى لا تصيبها العين . . وهل هناك عين أكثر من هذا العذاب ؟

قررت سالمة أن تنام ، أو على الأقل ، أن تتظاهر بالنوم أمام هذا الجمع الحاشد من النسوة والأطفال ، وأمام هذه الفوضى التي كثيراً ما تكون على أشدها في مثل هذا اليوم من أيام الزفاف . . فاليوم الخميس ، وكل واحدة من الزائرات الكريمات تريد أن تجهز نفسها وأطفالها لحفلة المساء . . وبمجرد أن بزغت الشمس بدأت كل واحدة من المدعوات الكريمات

* أسماء تتخلل أيام الزفاف الليبي .

توقظ سالمة على طريقتها الخاصة ، وانتهى بالوالدة التي سمعت منهن أن سالمة لا زالت نائمة فدخلت عليها تسبقها لغة العتاب :

ـ سالمة ؟ . يا ربي ؟ . قاعدة راقدة لتوه . . نوضى سلم بنيتي . . توه الناس يديرونا عار . . هيا نوضى وانشطى . . باهى والله . . زدي بالك تقعدي راقدة لتوه في حوش الناس . . راه أمه حرفة صرفة ما تخليهاش تدير عليك حجة .

وهنا تدخلت احداهن قائلة :

ـ ايه يا كبدي . . وِشّى أخته . . باين عليها شريت بلى .

وشعرت سالمة بالغيظ والضيق من هذا الكلام فلم تنبس بكلمة واحدة ، ثم نهضت متثاقلة ونظرت إلى وجهها في المرآة والتفتت بسرعة . . الضيق والتوتر يغمران قلبها . . لقد كان وجهها مشرقاً ناضراً وخداها متوردان . . ولكن السهر والارهاق خلفا لها وجهاً شاحباً متعباً « الله يلعن التقاليد اللي خلتنا عبيد ليها » . . وأحست بدوار فاستلقت على سريرها ثانية وتمنت لو يتركوها تنام لتريح جسدها المثقل المتعب المكدود المنهوك ، ثم تحاملت على نفسها وقامت اثر سماعها عمتها تقول :

ـ يا حنة بوها حلف يمين . . قال ما عنديش بنت تطلع وجهها

عريان . . باهــي والله ؟ . خــيره ما تلبسش فراشية على (القيلو) ؟ .

فردت خالة فاطمة :

ـ لا يا حاجة هذا مش أصول . . شنو تلبس فراشية . . والله ما توصل إلاّ حالتها حالة !!!

ـ يا ربي تخش على الناس مبهدلة ؟ .

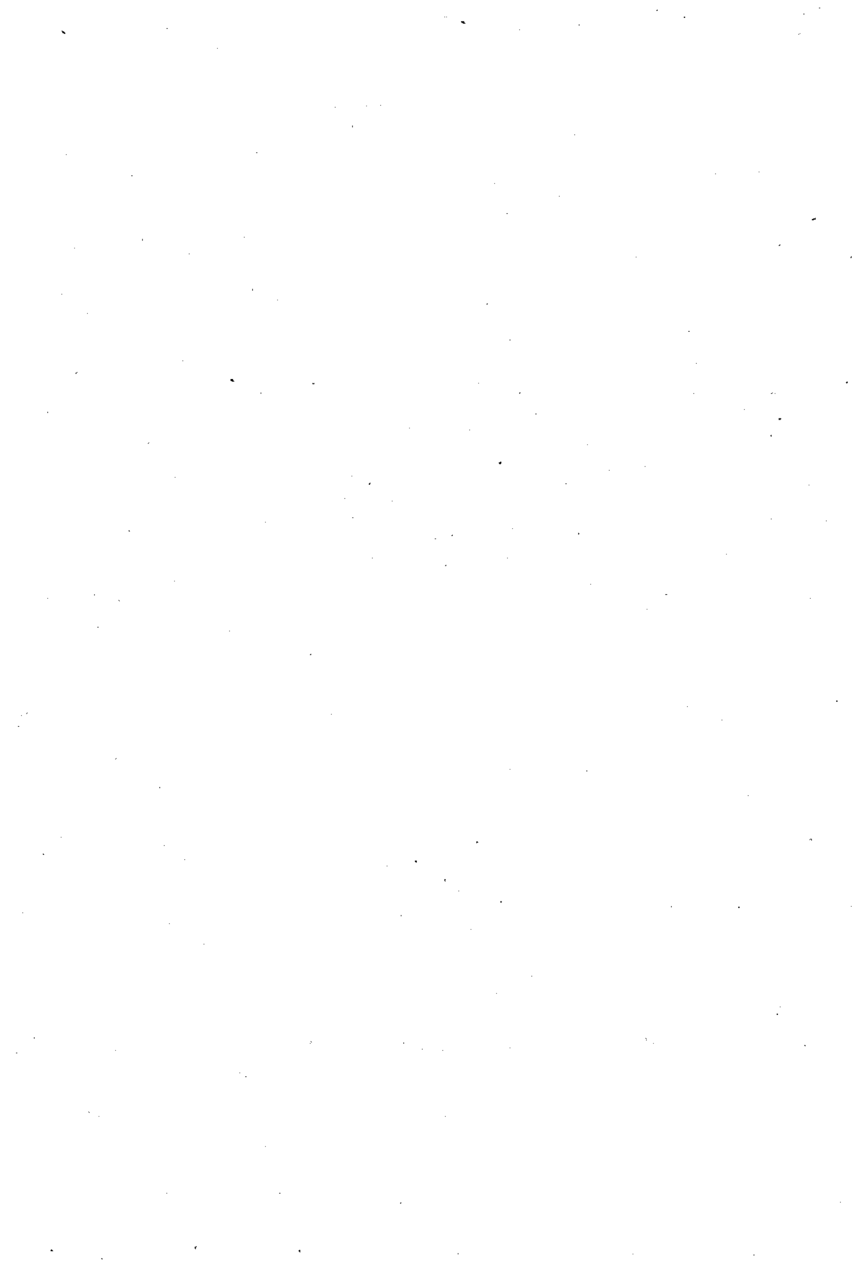
ـ اسكتي يا سكينة هذا مش شغلك ؟ علاش بنت أختي زيها زي جيلها . . هذا هبال سالمة مش ناقصة . . وبعـدين حتـى العريس يبيها تطلع سافرة . . هيا ما ترعشوش البنت .

ـ هذا اللي مزال توه أنـي يعنـي نبـي نرعشهـا . . أعطونـي فراشيتي . . والله مانى قاعدة فيه .

وتحول البيت إلى كتل وأحزاب وقيل وقال وأخـذت فاطمـة تبكي ، في هذا الجو المشحون بالفوضى والشجار والنقاش وبين صياح الأطفـال وبكائهـم جاء فوزي ـ الأخ الأكبـر لفاطمـة ـ ليخبرهم أن موكب السيارات قادم بعد قليل . . ووسط ضجيج النسوة وصراخ الأطفال . . وين كندرة ولدي ؟ يا زينت هيه . . فراشيتي اتبدلت . . يا محمود تعال البس حوايجك . . وسط هذا

كله وجدت فاطمة نفسهـا تتقاذفهـا الأيدي . . كل تحـاول أن تكمل لها زينتها وهي حائرة مغلوبة على أمرها .

سَـأعيش حبّي



صمت رهيب احتوانا للحظات . . خلتها ساعات طويلة تمر ببطء . . كنت أنتظره ليبدأ هو الكلام ، ولكنه استمر في صمته . . كان يصارع كبرياءه . . وكنت أنا كذلك أصارع كبريائي .

وألاحظه . . يدخن بشراهة . . يبدو مهموماً حائراً شديد الحزن . . وأتمنى لو . . لو يتفوه بكلمة . . كلمة واحدة فقط . . وبعدها أتلمس له العذر . . ومن لحظة لأخرى أسرق النظر اليه فتلتقى نظراتنا وتتعانق . . تتكلم عيوننا . . ألمح شبه ابتسامة على وجهه فأنسى كبريائي وعتابي وأتذكر أنه ملكي وحدي . . وأنني ينبوع حبه وحنانه . . أتذكر أنه مثالي في كل شيء . . أتذكر أنه شهم كريم متسامح . . أتذكر أنه رجل رائع ولا بدّ أن أحترم هذه الرجولة التي تأسرني . . فأدعوه لتناول كوبين من الشاي . . يبتسم ابتسامة جميلة عذبة . . ويدعوني

برقة متناهية أن أجلس بجواره ليحدثنـي . . ويحـكي في أمـور كثيرة تؤ رقه . . أفتح قلبي وعقلي وعواطفي وأنصت اليه . .

(لم أكن قد كونت نفسي بعد عندما تزوجنا . . كنت طالباً حديث النخـرج . . مسئـولاً عن أسرة علي واجـب اعالتهـا ، ورغم ذلك كنت أفكر في الاستقرار والعيش مع من أحببت . . كنت أنت ملاكي وفتاة أحلامي التي أتمنى أن تشاركنـي العمر كله . . ونجحت رغم كل شيء ورغم الصراع الذي خضته في أن أظفر بك وأن أتزوجك . . أعرف جيداً أنك ستضيقين يوماً بوضعنا هذا . . أعرف أنك ستضيقين ذرعاً بأسرتي وبيتي . . ولكنني كنت على يقين راسخ أن الحب والحب وحده كفيل بغلق الأبواب . . كل الأبواب والثغرات . . كفيل بأن يرمم كل شرخ في حياتنا . . ولكني الآن فقط بدأت أدرك أنني مخطىء في نظرتي وتفكيري وتحليلي لمثل هذه الأمور . . الآن فقط أدركت أنني يجب أن أعيش حياتي كما قدر لها . . قاسية قسوة قدري وحظي . . الآن فقط) .

وسرت في أوصالي رجفة لا أدري مصدرها أحسست أثناءها برعشة عجيبة ووجدت نفسي أقـول : لا . . لا . . لا تكمـل الحديث . . أنت زوجي وحبي . . أنت حياتي . . أنت دفئـي ومـلاذي . . أنـت كل شيء لي في هذه الـدنيا . . سأعيش

معك . . سأعيش معك إلى الأبد .

وصممت أن أتعلم شيئاً . . وأن أعمل لأحمل معه جزءاً من المسئولية . . وكانت بداية طرحت فيها كل التـواكل والخيالات والأوهام . . وعشت بالأمل والحب والتضحية .



لا لَــن أوَدّعك

حبيبتي . .

بكل ما أحمل من ايمان وحب لوطني ولك . .

بكل ما أحلم به من حياة عزيزة كريمة تجمعنا عن قريب . . بكل الوفاء . . بكل الصدق . . بكل المحبة . . بكل الشوق أودعك يا حبيبتي . . لألتقي بك بعد النصر . . وعندها نحتفل بفرحتين . . فرحة النصر وفرحة اللقاء . . إذا مت لا تجزعي بل افخري واسعدي لأن حبيبك سقط شهيداً في أشرف ميدان .

وطوت الرسالة بحرص . . أودعتها محفظتها حيث تستقر صورته . . تأملتها طويلاً . . ترى . . هل يرجع لها ؟ ترى . . ماذا تحمل لها الأيام القادمة ؟ هل يعود حبيبها ؟ . . وتحس بدمعة تفور من عينيها . . فتحبسها وتجادل نفسها في محاولة للتخلص من خيالات قاتمة تجثم على صدرها .

وتخرج الصورة من جديد . . تقبلها وتحتضنها . . حبيبي إنك كل حياتي . . بل أروع ما في حياتي . .

حبيبي . . كيف أفديك ؟ . . لماذا أنا بعيدة عنك ؟ . . لماذا أنا آمنة هنا وأنت في دائرة الخطر ؟ . .

حبيبي . . متى ستعود ؟ . . هل سأراك ثانية ؟ . . إنني هنا أصلي من أجلك ومن أجل وطني . . قسماً مقدساً أبرمناه أنا وأنت . . ترى هل يتحقق ؟ .

وتساورها خيالات مجنونة . . فتبكى . . وتتذكر ساعة الوداع . . كيف كان شهماً رائعاً شجاعاً . . لم تستطع وحدها أن تحبس دموعها . . وظلت تبكي . . يحتضنها ويضمها اليه بحنان ومحبة . . وتعود اليها كلماته . . شفافة . . نقية صادقة . . حبيبتي لا تبك . . سأعود اليك بعون الله ظافراً منتصراً . . سأعود اليك بعد أن تتحرر أرضنا .

سأعود اليك بعد أن يتحقق السلام في ربوعنا . . صل من أجل النصر . . أن دورنا الآن فوق كل الاعتبارات . . دورنا هنا في الجبهة . . دورنا من خلال فوهات البنادق وأصوات الرصاص . . دورنا من خلال المعارك التي سوف نخوضها ضد عدونا . . دورنا الصمود والقتال حتى الموت من أجل وطننا . .

إنك تقلقينني ببكائك . . تعذبينني . . لا أريد لعينيك أن تبكيا . . لا تودعيني بالدموع . . ودعيني بالزغاريد . . بالأمل . . أمل النصر القريب باذن الله . .

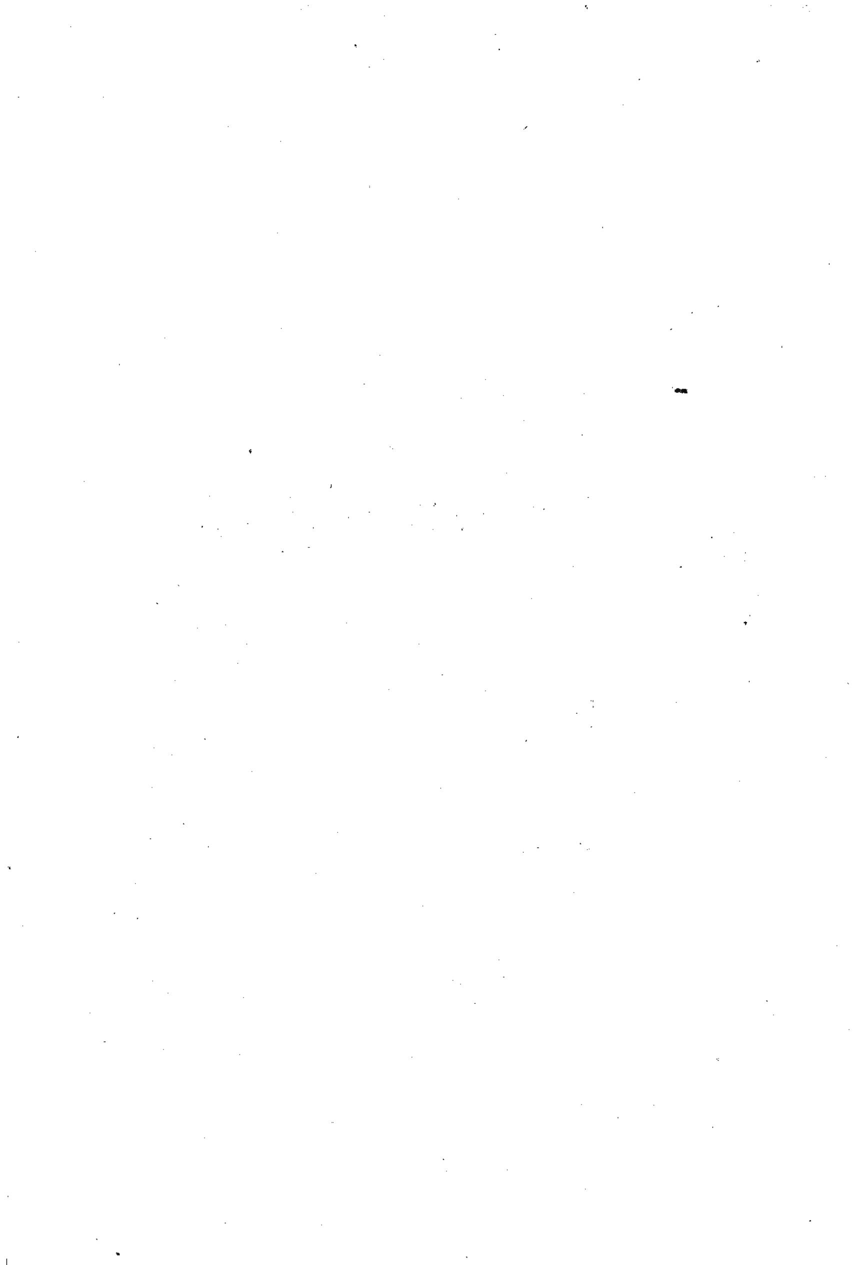
وألقت بنفسها بين أحضانه وهي تردد :

حبيبي . . لا . . لن أودعك . . سترجع لي . . ستحقق النصر . . ستحرر الأرض . . ستعود . . ستعود لي .

ومن جديد تحس بحرقة في أعماقها . . وتبكي . . وفجأة ترتفع صفارات الانذار . . العدو يقوم بغارة على بلادها . . وتحس بالخجل من نفسها . . أي دور تقدمه ها هنا . . لا شيئ . . لا شيء . . ما جدوى البكاء والنحيب . . ما جدوى الأمل والرجاء . . وتشعر بدم جديد يتدفق فيحولها إلى كتلة من الحماس . . ويتناهى اليها صوت يدعوها لأن تنضم لأقرب مركز تداوى الجرحى وتخفف آلامهم . . وفي ذلك أسمى تحية لبطلها في الجبهة . .

أرادت أن تخرج صورته من جديد . . ولكنها تراجعت لتقول . . لا . . لن أودعك . . بل سألحق بك . . سأتوجه حالاً إلى المستشفى لأستقبل الأبطال وأداويهم واواسيهم . . فذلك خير ما أفعل .

إمنحيني مُهلة



كانـــت أمسية ممطــرة . . ولا أدري كيف وجــدت نفسي منفردة . . فمنذ أن وطأت قدمـاي هذا البيت لم أنفـرد بنفسي قط . . لم أتعذب كما كنت أخشى . . بل شعرت بلذة ومتعة وأنا أنظر حولي وأتذكر الأمس ، وكم هي جميلة قصة الأحـزان . . رجعــت بنفسي سنـين إلى الـوراء عندمـــا كنـــت طالبـــة بزي المدرسة . . مجدة مجتهدة . . ثم وبعد أن اقتحم أعماقي بنظرته العاتبة وقامته المديدة وسحنته الرائعة . . لم أترك لعقلي الحرية ليفكر ويدلي بدلوه في تقرير مصيري ومستقبلي وحياتي المقبلة . . كانت الكلمة الأولى والأخـيرة لعاطفتـي بالرغـم من الحـاح في داخلي يدعوني لأن أتريث وأن أفكر .

وفجـأة وجـدت نفسي في بيت مليء بالمتناقضـــات وكان هو سلوتي ملاذي ومرفئي .

ووجـدت نفسي أعيش على وتـيرة واحـدة وأدور في دائــرة

مغلقة ، شعرت بأنني لم أعد غير أداة طيعة في يد الآخرين . . يتحكمون في وفي معيشتي وفي أسلوبي في الحياة . . لم أعد أفكر كما كنت وأضحك كما كنت وألبس كما كنت . . فقدت كل هذا وأصبحوا هم الذين يحركونني . . أفكر بارادتهم وحسب مقاييسهم ومواصفاتهم . . وبدأت أنأي وابتعد رويداً رويداً عن مجتمعي وعن صديقاتي وعن كتبي وعن أحلامي وآمالي وطموحاتي . . شعرت بالضياع يمتصني في خضم هذا البيت . . بأفراده العديدين . . وكلما هممت بأن أفضى له بما يدور في أعماقي ، كنت أخاف غضبته وثورته . . أخاف أن أفتقده . . فأهرب من الحقيقة لأعيش الزيف مع نفسي . . إلى أن أدركت بأنني بدأت أتمزق بالفعل فكادت تقتلني الأحزان وتدمرني وتقضي على البقية بالباقية من حياتي . . وفي تلك الأمسية الممطرة وجدت الوقت قد حان لأن أواجهه بالحقيقة . . وأعيش مثلي وقيمي ومبادئي .

اللحظة . . قررت أن أتحرر . . أحرر نفسي من قيد عواطفي وقد خنوعي . . سأفكر بعقلي هذه المرة وليكن ما يكون . . وساد صمت رهيب . . وأحسست أنني بدأت أفتقده في عنف . . وودت لو يتكلم . . لو يقول لي أي كلام لأعتذر له وأبدي أسفي . . فأنا أحبه وهو يحبني . . ويجب أن أضحى . .

يجب أن أقدر ظروفه . . فليس سهلاً أن يترك أهله ويتشبث بي أنا . . وفي اللحظة التي كدت أضعف فيها رأيته يقترب مني وتتبادل كلانا نظرة حائرة . . ثم يطلق زفرة ويقول بأسى :

ـ أنا وأنت في موقف مؤلم للغاية . . إنني أشقى وأتألم كما تتألمين . .

لم أتركه يكمل كلامه ، وهززت رأسي هامسة :

ـ إنني أقدر ظروفك . . ولكن لا بدّ لنا من مخرج ، لا بدّ أن نواجه الحقيقة . . أنا وأنت لا بد أن نفكر . . إننا نعيش صراعاً لا يمكن لحياتنا أن تستمر معه .

وكان يسمعني وفي عينيه صدق ومحبة ورغبة في التخلص من عرف (الابن الأكبر) . . قال لي :

ـ أنت تنعمين بأنوثة صافية تتدفق منها بساطة وبراءة رائعة . . لقد ضحيت ما فيه الكفاية من أجلي ولن أطلب أكثر . .

وراعني أن يكون هو نفسه يعاني نفس الموقف وتذكرت تلك النظرة العاتبة والتقت يدانا في صدق وحنان وضاعت أحزاننا في ضحكة مشتركة .

مَوْقِفٌ رَائِعٌ

كان يحترق غيظاً وهو يذرع الغرفة جيئة وذهاباً ويستعرض الشريط المسرحي الذي كان هو أحد أبطاله .

أخذته الحيرة حينما تذكر ما حصل ، بهذه السهولة ينهار صرح حبه الذي بناه لبنة لبنة . . أبهذه السهولة يفقدها ؟ بكلمة واحدة قاطعة . . أحس بثورة . . ثورة دفعته دفعاً لأن يتصرف بأي طريقة . . ويبذل جهده . . لكن كيف . . كيف يبدأ . . قال الحاج كلمته وكفى . . وقال له من غير أن يجادله : « آسف مخطوبة لولد عمها » ، ترى من يكون ابن عمها هذا . . لماذا لم تخبره به . . أنها لم تحدثه عنه قط ربما يكون هذا ذريعة لرفض الحاج . . اذن عليه أن يتأكد ومنها هي بالذات . . سيدبر الأمر . . وأخذ يفكر ويفكر .

أما هي فقد كانت تحترق مثله . . لقد سمعت عن نتيجة المفاوضات من أمها التي أخبرتها أن والدها لم يوافق وأنه صرف

أحمد بلطف . . بأن قال له أنها مخطوبة لإبن عمها . . أحست فاطمة بأن المكان على سعته ضيق يكاد يخنقها . . كانت تتألم في صمت . . لا تستطيع أن تتفوه بكلمة . . فالعار كل العـار أن تبدي البنت رأيها في خطيبها . . العار كل العار أن تناقش أهلها في شريك حياتها المقبلة . . العار كل العار أن تقول أريده أو لا أريده . . وأمام هذا وقفت فاطمة حائرة وسؤ ال يتردد أمامها من حين لآخر . لماذا رفض أحمد . . ألم يكن شاباً متعلماً . . ألم يكن على أخـلاق طيبـة عالية ؟ . . أن كل نقصـه ـ أن كانـوا يعتبرون ذلك نقصاً ـ أنه من عائلة فقيرة ، ولكن عهد النسب والحسب قد ولى . . أن العقـل والمنطـق وروح العصر تطلـب العلم والأخلاق . . وهذه متوفرة في أحمد . . اذن يجب أن تقف إلى جانبه . . يجب أن تسانده في محنته ومحنتها هي أيضاً .

لقد كان شهماً ، كان رائعاً حينما أراد أن يدخـل البيوت من أبوابها فتقدم لخطبتها بالرغم من تخوفه مما حصل له اليوم . . اذن ستقول كلمتهـا . . ستتحـدى وليكن ما يكون . . وكان يومـاً وكانت لحظـات ستدعـم حبهـا الخالـد وسيكون ضمـن شريط الـذكريات الجميلـة التـي سيتـذكر أنهـا كلما مرّ عيد زواجهما المقبل .

في لحظة ثائرة نسيت فاطمة فيها نفسها . . نسيت ما سيترتب

عليها ووضعت أملاً واحداً أمامها هو أن تنتصر لحبها .

انتهزت فاطمة راحة القيلولة ودخلت حجرة الجلوس حيث أمها تعد الشاي ، بينما والدها يقرأ جريدة قديمة مرّ عليها أكثر من أسبوع ، والغريب في الأمر أنه يقـرأ في الصفحـة الأولى حيث الأخبار السياسية والمحلية .

جلست فاطمة مطرقة حزينة وسرعان ما لاحظت عليها أمها هذا فسألتها :

ـ خيرك يا فطومة . . وجهك اصفر زي الليمة . . هذا كله من القراية والسهر . . يا ودي بناقص منها .

كان يتنازع فاطمة تياران . . الأول يقول لها تكلمي . . قولي لهم رأيك . . قفي مع من أحبـك . . لا تكونـي سلبية فالحياة حياتك أنت . . إن أحمد نعم الشباب فلا تفرطي فيه بمثل هذه السهولة .

أما الثاني . . فكان يضع أمامها يافطة كبيرة مكتوبـاً عليهـا « العادات والتقاليد » . . وأرادت أن تحلل المنطقين أو الرأيين ، فوجدت أن منطق العقل والوفـاء يحتـم عليهـا أن تنصرف . . أرادت أن تتكلم . . غير أن شجاعتها خانتها أمام والدهـا . . فانتهزت فرصة خروجه وقالت لأمها بلهجة يائسة حزينة :

ـ شنو قال بوي على أحمد ؟

ـ يا بنيتي اللي قاله قلتهو لك أمس . . ولد غمها شادد فيها .

ـ أما ولد عم هذا للي طلعلي من تحت الوطاء ؟

ـ شنو . . شنو ؟ . . بصراحة أنا راضية بأحمد ولا يمكن نوافق على واحد آخر غيره . . « حتى هذا رأيي !! » .

« شنو ما زال في الدنيا . . بنت بطولها وعرضها لا استحت ولا اتحشمت . . عيني في عينها تقول هالكلام . . اسمعي يا بنية هيا . . احنا باعتينك للمدرسة باش تتعلمي العلم مش الغية . . يا ودي يرخص الحرير لين يواطو بيه القدور ؟ . حتى انت ترخصي لين نعطوك ها العطية ؟ » .

ـ حرام عليكم يا أمي . . الفقر مش عيب ، آخر وقت .

ـ والله لو كان يسمع بوك مش عارفة شنو يعملك ، نشبح في الوراقي ماشية جاية لكن خاطر علي ؟ .

قالت أم فاطمة كلاماً كثيراً في ثورة غاضبة لم تألفها فيها ابنتها من قبل .

أخذت تبكي بعد أن تأزم الموقف بينها وبين أمها بهذا

الشكل ، وزاد الأمر حدة عندما سمعت الحاج يتنحنح ، فأرادت أن تجفف دموعها غير أن الحاج قد دخل الحجرة وإمارات البكاء والتعب والحزن بادية على فاطمة . . لقد تحولت تقاسيم وملامح وجهها إلى مومياء جامدة . . وعندما رأت والدة فاطمة هذا أحست بطريقة عفوية فطرية أن قلبها واحساسها يميلان إلى ابنتها . . شعرت فطرياً أنها يجب أن تقف مع ابنتها في محنتها هذه . . ومع احساسها تذكرت المآسي التي وقعت من مثل هذا التصرف فقالت للحاج :

ـ اسمع يا جاج . . الولد كلهم بيشكروا فيه ، قالك علم وتقوى ، حتى الدخان ما يشربش فيه وما زاله عامين ويكمل العلم وياخد الشهادة اللي يسافروا بيها برة . . يا ودي يا ريتك تقوللهم .

ـ باهي . . يا منعاش . . يا منعاش .

وأحست الحاجة بارتياح كبير ظهر جلياً من خلال ابتسامتها .

استطاع أحمد أن يرسل لفاطمة يخبرها بكل ما حدث بينه وبين عمه الحاج وطلب منها بالحاح أن تقف بجانبه . . أنه لم ييأس بعد وسيبذل كل ما يستطيع من جهد . . كانت رسالته تفيض صدقاً ومحبة ورجاء . . وأخبرته هي الأخرى بكل ما جرى بينها

وبين أمها وبالتالي والدها . . وطلبت منه أن يكرر طلبه .

بعد أيام صعبة قلقة مرّ بها أحمد وفاطمة لحظة بلحظة أعلنت خطبتهما ، وكانت فرحة وكان يوم تحقق فيه أمل قلبين جمعهما رباط شريف مقدس وهدف نبيل وأفكار سامية .

الأصـــلُ وَالصّـورَة



فتح درجاً من أدراج مكتبه ووضع فيه رسالة ثم أعاد قفله بالمفتاح واستلقى على سريره . . لم يكن بالنائم ولا بالصاحي . . فهي هناك في بلدها حيث هي جالسة تفكر وتفكر فيه كما جاء في رسالتها . . يا ترى هل هي رزينة متزنة ؟ أم طائشة كتلك اللاتي شاهدهن وسمع عنهن . . أنه يحس بشعور صادق نحوها . . قلبه يقول له أنها تحبك . . لكن ما فائدة الحب إذا كانت من البنات اياهن اللاتي يوزعن الحب والوجد بدون حساب . . كم إبتذلت هذه الكلمة السامية التي كانت تحمل ألف معنى ومعنى . . أنه لم يعد يثق في مثل هذه الكلمات . . فكم استلم من مظاريف معطرة زرقاء تعج بالهيام والحب حتى تكاد تحترق من حرارة الكلمات . . وأحس باديء ذي بدء بالشفقة على هؤلاء العذارى ولكن احساسه هذا لم يلبث أن تحول إلى نوع من السخرية والاستهزاء بل الاحتقار ، بعد أن قرأ

نفس الرسائل ونفس الجمل والكلمات ونفس الأسماء والتاريخ عند شلة الأصدقاء الذين سافر معهم .

لم يلبث أن طرح كل هذه الخواطر جانباً ، وعاد فأخرج رسالتها وقرأها ثانية حيث وقف على بعض عبارات منها (من أسرة محافظة) ماذا تعني كلمة المحافظة يا ترى هذه الأيام ؟

لم أحب سواك . . أيعقل هذا (متى تأتي لنتزوج ؟) لا تنس أن تحضر لي معك كذا وكذا وكذا .

حسب حسبته فوجد أنه قد صرف الكثير قبل أن يراها . . هدايا . . هدايا . . طرد تلو الآخر تسلمته . . وعقب كل طرد تصله رسالة منها تلتهب شوقاً ووجدا .

نهض على أثر نداء أمه . جلس يتناول الطعام . . قام فجأة واتجه لحجرته كالملسوع . . لقد نسي رسالتها على مكتبه . . وضعها في الدرج الذي يحوى أسراره . . أقفل عليها بالمفتاح واطمأن بعد أن واستقر في جيبه .

سألته أمه الساذجة الطيبة عن سبب تركه لغذائه . . ولم يجد ما يقوله سوى ما عنديش نيه توه .

قلق مبهم سيطر عليه . . ليته لم يفعل ما فعله . . لقد بدأها

كتسلية من تسالي الشباب حينما وجد اسمها في مجلة ما فكتب لها أول رسالة . . كانت رسالة شبه عادية لا يزال يتذكر سطوراً منها (أنا شاب ليبي أهوى قراءة الصحف والمجلات وجمع الطوابع والمراسلة) عبارة تقليدية . . ظهرت في الخمسينات حينما احتل فن المراسلة صفحات رئيسة من بعض المجلات المتحررة .

يحس أنه غير طبيعي في وسط أسرة هادئة متحابة مرحة . . أنه حائر . . يفكر ويفكر . . أيمكن لورقة صغيرة تافهة أن تضعه في مثل هذه الدوامة ؟ . أنه ليس من أمثال هؤلاء الشباب الذين يحلو لهم العبث والتسلية على البنات . . ليته لم يقرأ تلك المجلة . . وليته لم يكتب تلك السطور التي جرته إلى كتابة رسائل طويلة وجرت قلبه لأن يرتبط بها .

إنه يحبها . . هذا ما يجب أن يصارح به نفسه . . وبدأ يفتقد رسائلها كلما تأخرت . . ولكن كيف يسمح لنفسه وهو الشاب المتعلم المثقف أن يتهور هذا التهور . . أيمكن لانسان أن يرتبط بانسانة دون أن يراها . . ودون أن يسمع عنها وعن أسرتها . .

إن كانت من بلده فله ألف عذر إذ له الحق في أن يحمل تقاليده هذه المسئولية . . ولكنها من بلد آخر . . بلد يسمح فيه بالحب والاختيار لأي طارق زواج .

قـرر أن يحـدد موقفـه . . هل يذهـب إليهـا أم يطلـب صورتها . . أن الصورة لا تكفي فالجمال عنـده ليس بالدرجـة الأولى . . إن الذي يهمه قبل كل شيء الأخلاق . . الشرف . . وبعدها يأتي الجمال . . حقاً أنها جميلة ولكن لا يهمه جمالها إذا كانت خالية من الصفات التي يريدها . . لا بأس من أن يطلب منها صورتها . . في أول رسالة أسبوعية وصلتـه الصـورة . . جميلة حقـاً . . أحس كأن الـدنيا فتحـت له ذراعيهـا . . نسي مطالبه الأولى . . نسي كيف قال أن الجمال يأتي بالدرجة الثالثة حسب ما صنفه .

عمل المستحيل لكي يحصل على إجازة قصيرة . . وعلى أول طائرة متجهة إلى بلدها سافـر . . لم ينـم تلك الليلـة . . وفي الصباح سأل عن بيتها . . ومن حسن حظـه أن البيت لم يكن ببعيد عن الفندق الذي نزل فيه . .

فتاة عادية ، بل هي أقرب إلى الدمامة منهـا إلى الجمال . . شعرها جاف أشعث . . عيناها ضيقتان . . جسمها بعيد جداً عن الرشاقة ، خالها في بادىء الأمـر خادمـة في بيت (ديدي) وهذا اسمها حسب الموضة . . قدم لها نفسـه وسلمهـا الهـدايا الثمينة الجميلة التي حملها معه ثم سأل عن (ديدي) . . أحس بدوار وكأن صدمـة حدثـت له . . أنهـا هي صاحبـة الصـورة

الفاتنة . . وقف مشدوهاً وهو يتمتم :

ـ ما أبعد الفارق بين الأصل والصورة .



بَعْدَ الرَّحيْل



لم تمتلك القدرة على مزيد من الالحاح . . إذ كانت أساليبه المقنعة وتعلقه بتلك المرأة قد طغى على كل ذرة من كيانه . . ولكنها ماذا تفعل الآن . . انتابها الخوف بغتة . . رفعت عينيها وشاهدتهما يبتعدان شيئاً فشيئاً . . تجمدت . . تأملت صورته المعلقة ملياً . . شعرت بهديل يهز أعماقها . . كان الفصل بداية الشتاء . . جلست في أشعة الشمس تلتمس حرارتها حيث تعودت أن تفعل كل صباح . . تذكرت كيف كان أحفادها الصغار من حولها يتسابقون على الجلوس في حضنها . . وكيف كان يغمرها الحب بمراقبتهم وهم يلعبون . . وهم يتحاورون بتهتهة طفولية جميلة . . تذكرت كوب الشاي الذي كان يأتيها جاهزاً في مثل هذا الوقت من النهار . . تذكرت كنتها ومناوشتها معها . . وأخذت تغوص في الذكريات رويداً رويداً . . لم يغمض لها جفن خلال ليلتين . . تملكها خوف وانزوت اعتباراً من ذلك اليوم .

وبغتة أطل عليها بقامته المديدة . . أحست أنه قريب منها . . أنه بعيد . . حقيقة بعيد . . سألها عن حالتها وصحتها . . حبست دموعها . . تماسكت . . جلس بجانبها . .

ـ أمي . . ما بك ؟ . . أنني أتيت لآخذك معي . . هيا جهزي نفسك .

غطت رأسها بمئزرها وبكت . .

ـ كفى عن البكاء يا أماه . . هيا كلهم بانتظارك هناك .

لم تتحرك . .

نظر إلى ساعته . . رجاها ثانية . . كرر رجاءه . . بكت من جديد . . تأهب للوقوف . . وانتظر . . شعر بوهن . . انتابته كآبة . . أطرق يفكر . . تحسس جبينه . . لقد نفذت سجائره . .

ـ أمي . . هيا بنا . .

ـ لست أمك . . اذهب إلى التي فضلتها علي . . إلى التي أطعتها ورحلت من بيت والدك وجدك .

ـ افهميني يا أمي . .

ـ قلت لك أني لم أعد أمك . .

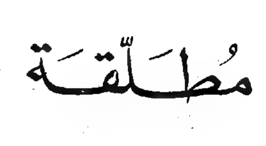
خرج مندفعاً . .
ـ ما بك يا حبيبي ؟
ـ ابعدي عني . .

ـ أنها هي الشيطانة . . ألم تكن عندها ؟ لكم تكرهني . . إذا دخلت هذا البيت فانني سأتركه لها في الحال . .
ـ أنت طالق . .

لا يدري إلى أين يتوجه . . السيارة تنزلق منـه . . اتجاهـان أمامه . . عمود كهرباء . . سيارة أخرى تندفع . . أمامه أشباح تتحرك . . تخدير يصيبه . . يختل توازنه . .

ـ ابنـي سأعـطيك روحـي . . سأبـذل كل ما أستـطيع من أجلك . . أنا عجوز وعلى استعداد لأن أموت فداء لشبابك . . ابني . . وحيدي . . لا تتركني . . لا ترحل . .

ـ زوجي . . يا الهي . . أنا حبيبتك . . لم أقصد ما قلته . . لقد كنت خائفة عليك . . أغار عليك . . زوجي . . سامي . . حاتم . . ابناؤك . . زوجي . . وتبادلت الاثنتان نظرة وارتفع بكاؤهما . . الممرضة الرقيقة تخرجهما من الحجرة . . لقد انتهى موعد الزيارة .


مُطَلَّقَة

بدأت تتطلع حولها . . كان البيت مترفاً . .

رفعت وجهها للرجل الذي أمامها . . رأته رجلاً مهدلاً بشع المنظر . . تخطى عمرها بسنوات .

الآن فقط أدركت ألف معنى ومعنى للأحاديث التي كانت تدور همساً بين صديقاتها .

وانطلقت في صدرها عواطف مهزوزة . . شيء من الغموض وشيء من القلق والشعور بالبؤس والتعاسة . . أشياء وأشياء كثيرة انتابتها .

لا تدري بالضبط كيف تمّ زواجها . . كيف تحدد أن يكون هذا اليوم يوم زفافها . . إنها لم تره من قبل . .

كانت تحلم بفتاها . . أسمر مديد القامة ذا رجولة مقتدرة . . لم تفكر في ماله . . في بيته . . في أثاثه . . في سيارته . . كلها هراء . . هذه الأشياء . . المهم هو .

والآن ها هو أمامها . . رجل متهدل . . بشع المنظر . . وتشعر بغثيان . . باختناق . . برغبة في البكاء .

انقض عليها . . أخذ ينهش شبابها بوحشية .

شاعت الكآبة في كيانها . . وطاف بها الخيال حول حياتها الجديدة . .

كره شديد أحست به نحو هذا البيت . تكره جدرانه . . تحفه . . أثاثه الوثير المترف . . كل قطعة فيه تكرهها . .

الموقف كله غريب . . أحست كأن وجهها يئن هو الآخر . . لقد دفع بسخاء . .

اشتراها بماله . . مفتاحه يدور في الباب . . دقات قلبها تحق . . استقبلته خائفة متهيبة . .

بدأ يغازلها بكلام سمج . . انطلقت في صدرها ثورة مجنونة . . لا تقربني . . لا تلمسني . . إنني أكرهك .

وتبعثرت كلماته كالشظايا . . إنني اشتريتك بمالي . . دفعت فيك عدة آلاف من الجنيهات . . أنت مجنونة . . أنت حقيرة . . فقيرة مثلك تطرد هذه النعمة . . هذه الرفاهية . .

لم يكن حلماً . . ولكنه أشبه بحلم . . أحست وكأنها تثور لأول مرة . . وكأنها تصحـو لأول مرة . . الآن فقـط مارسـت انسانيتها .

حمل ثقيل كان يجثم على صدرها . . لقد خدمتها لحظة حرجة متوترة . . لم تصدق ثقتها بنفسها . . ولم تصدق أنها تملك كل هذه الجرأة . . كأن الذي حدث كان في غفلـة من ارادتهـا . . ولكنها غفلة تحمل معها اطلالة مليئة بالأمل والثقة . . وتنفست الصعداء . . الآن فقط مارست انسانيتها . . والآن فقط أضحت انسانة حرة . . ستخرج من هذا البيت . . وستحمـل وصمـة (مطلقة) في مجتمعها .

فهرست

ثمن بيع النسخة للمؤسسات الرسمية 800 درهم

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان

الثمن :
400 درهم